التعليق على رسالة ابن رجب

البِشارةُ العُظْمى للمُؤمِنِ بأنّ حظَّهُ مِنَ النّارِ الحمّى

أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

-منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

-هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

-الكمال لله-عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلي آلهِ وصحبهِ أجمعين.

نسأل الله–عزَّ وجلَّ–بمنه وكرمه أن يجعل اجتماعاتنا كلها اجتماعات مرحومة وأن يجعل تفرقنا بعدها تفرقًا معصوما...اللهم آمين.

إن شاء الله في هذه الأيام سنقرأ هذه الرسالة لِابْنِ رَجَب، والتي هي بعنوان: "البِشَارَة العُظْمَى لِلْمُؤْمِن بِأَنَ حَظَهُ مِنْ النَّارِ الحُمَّى".

وبين يدّي هذه الرسالة نُقدم بكلام متصل بالأمراض والخوف منها، ومسألة التوكل على الله التي هي من لوازم المؤمن، وأنتم تعلمون أن الله–عزَّ وجلَّ–من سنَّته أن يبتلي الناس بالأوبئة، ويبتلي الناس بالطاعون.

الطاعون الذي يسمي طاعونًا إنما يقصد به الأوبئة، نحن نعتبر مثل هذه الأخبار عن انتشار الأوبئة اختبارًا لتوكلنا على الله.

ولابد أن يكون لنا موقفًا صحيحًا من الأمراض، في كل الأحوال لابد أن ندفع عن نفوسنا الوساوس الشيطانية التي تخيف الإنسان وتُعِيقهُ وتُبْعده عن الطمع في رحمة الرحمن–سبحانه وتعالى–؛ لأن الناس اليوم يُرمى عليهم بسهم الخوف من غير الله في كل وقت، وكل يوم يخوفونهم بشيء جديد سواء كان أنواع من الأمراض أو أزمات اقتصادية أو حروب، هذه كلها أمور تضطرب بها النفس، في نهاية الأمر كل مسألة يجب أن يكون عندك اعتقاد صحيح فيها لأجل أن تطرد وسواس الشيطان.

من أكثر الوساوس المنتشرة وسواس الخوف من المرض، هذا وسواس مشهور جدًا، خاصة بين النساء، وكلَّما تقدمت في العمر، كلَّما زاد خوفها من الأمراض خصوصًا لو كانت هذه المسألة مثلًا موجودة في عائلتها، موجودة مثلًا عند قريب منها؛ فيزيد خوفها ووسواسها من أن تقع في المرض، وخصوصًا أن اليوم تمر على الناس أمراض ما مرت على سابقهم، فتوجد عوامل كثيرة جدًا في هذه الأيام تجعل للخوف من المرض شأن مختلف مثل:

- كثرة وسواس الشيطان للناس.
- نوعية الأمراض التي تمر على الناس وما مرت على من قبلهم–الأوبئة–.
- الحروب الإعلامية بالأوبئة–التي لا نعرف صدقهم فيها من كذبهم–.
- ضعف الإيمان.
- حب الدنيا والتعلق بها.
- التعلق بالطب أيضًا، فتطور الطب أكيد أنه في مصلحة الناس ومن نعمة الله لكن، هل هو في مصلحة الإيمان دائمًا أو قد يكون سببًا لضعف الإيمان؟ هذا على حسب الناس.

هناك أشخاص يرون أن وصول الأطباء إلى تشخيص الأمراض ووصول الأطباء إلى أنواع من العلاج إنما هذه بشرى ولتطمئن قلوبكم؛ وما الشفاء إلا من عند الله.

وهناك جماعة لا؛ قلوبهم معتمدة على الأطباء، ويرون أن الطب تطور، وأنه لا داعي للقلق؛ لأن الطب لابد أن يأتي بالأدوية!

فعلى كل حال، هذه معركة طويلة، مسألة المرض ومسألة الشفاء، وهي من أصول اعتقاداتنا، وإبراهيم-عليه السلام-في سورة الشعراء التي تُعرف بالرب الكريم-سبحانه وتعالى-عرَّف رب العالمين، بيّن مَن هو رب العالمين، وصف رب العالمين، قال: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}[1] فهذه من أصول عقيدتنا أنه لا بد أن أعرف أن الحياة فيها سعة وفيها ضيق، وعندما يحصل الضيق بالمرض-وهو من أضيق الأحوال التي يمر بها الإنسان-فلا أَضيَق من المرض، مهما عددت من ضيق في الفقر أو في الغربة ففيهما ضيق عظيم، ولكن لا أَضيق على الإنسان من ضِيق المرض، ولا أخوف من الآلام؛ ولذا الناس ينذرون من الآخرة بآلام النار؛ لأن الإنسان يخشى جدًا الآلام، وهذا أكثر ضيق يمكن أن يقع على الإنسان.

فإن شاء الله نناقش هذه العقيدة المهمة التي هي عقيدتنا في الأمراض، وأيضا عقيدتنا في الشفاء من منطلق حديث مهم جدًا أن يبقى دائمًا في بالنا، نواجه به كل الأمراض، سواء كانت الخوف من الأوبئة أو الخوف من غيرها، ونحن مع اعتقادنا في هذا الحديث لكن هذا لا يمنع أن نسأل الله دائمًا أن يحفظنا من الأمراض، نسأل الله أن يحفظنا ويحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من الأوبئة والأمراض، أسأل الله-عزَّ وجلَّ-بمنه وكرمه في هذا المجلس المبارك أن يشفي جميع مرضى المسلمين-المرضى في أبدانهم، والمرضى في نفوسهم-والمبتلون بالمخدرات، الله يشفيهم جميعًا ويردهم إلى الصراط المستقيم، اللهم آمين.

سنبتدأ إن شاء الله في قراءة كلام ابن رجب على هذا الحديث، وأثناء ما نتكلم عن الحديث سنتكلم عن طريقة ابن رجب.

❀❀❀

(١) [سورة الشعراء: ٨٠]

نبذة عن اِبْنِ رَجَب–رحمه الله–

ابن رجب–رحمه الله–هذا رجل علم من أعلام السنَّة، قد مَنَّ الله–عزَّ وجلَّ–عليه بالعلم والعقيدة الصحيحة، وله طريقة في كتابةِ رسائله، فإنه يأتي إلى الأحاديث ذات الشأن التي يرى حاجة الناس لإبراز معناها، فيكتب فيها رسائل؛ ولذلك هذه السلسلة اسمها "رسائل ابن رجب"، جزى الله من طبعها، وقام عليها، وأنفق على نشرها، جزاه الله خيرًا، لكن له طريقة يجب أن تفهموها جيدًا، حتى إذا جئنا عند هذه النقاط لا يكون عندنا إشكال فيها.

طريقته أنه يجمع في الحديث الذي يشرحه كل ما يمر عليه من أقوال السلف ومن الأحاديث، سواء كانت صحيحة أو ليست صحيحة، فعندما نتناقش ونأتي للأقوال غير الصحيحة نتركها ونترك النقاش عليها، لماذا؟ لأن من سلفنا كان عندهم قاعدة، هي قاعدة الإسناد، أي يحدثك بالحديث ويقول: فلان حدثني، فأنت تعرف مَن فلان–المفترض أنك تعرف سلسلة الرجال–فإذا كانت سلسلة الرجال ضعيفة طرحت الحديث أو طرحت الكلام وإن كانت قوية قبلت الكلام.

في نفس الرسالة في الهامش مُنبه على النصوص التي فيها إشكالات، وأثناء النقاش إن شاء الله أيضًا سنشير إلى ذلك.

بسم الله توكلنا على الله..

قال الإمام ابن رجب-رحمه الله-في رسالته: "البِشَارَة العُظْمَى لِلْمُؤْمِن بِأَنَ حَظَهُ مِنْ النَّارِ الْحُمَّى".

"بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر يا كريم

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. خرَّج الإمام أحمد من حديث أبي الحصين الشامي عن أبي صالح الأشعري، عن أبي أمامة، عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((الحُمَّى مِنْ كِيرٍ[٢] مِنْ جَهَنَّمَ، فَمَا أَصَابَ الْمُؤْمِنَ مِنْهَا، كَانَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ)).

وفي رواية له: ((كَانَ حَظَّهُ مِنْ جَهَنَّم))."

هذا الحديث خرجه الإمام أحمد-رحمه الله-، وفيه عن أبي أمامة، عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((الحُمَّى)) التي نسميها نحن السخونة، وهي ارتفاع درجة الحرارة، الحُمَّى لأي سبب من الأسباب، الحُمَّى هذه عارض، له أسبابه.

قال-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((الحُمَّى مِنْ كِيرٍ مِنْ جَهَنَّمَ))، كير الحداد: الَّذِي ينفخ به النار.

إذًا الحُمَّى: كِيرٍ مِنْ جَهَنَّمَ الذي ينفخ فيه النار.

((فَمَا أَصَابَ الْمُؤْمِنَ مِنْهَا، كَانَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ)). أي إذا أصاب المؤمن من هذا الكير من السخونة كانت هذه الحُمَّى التي في الدنيا هي حَظَّهُ مِنَ النَّارِ، أي أنها بعد ذلك تُحرَّم عليه، لا يدخلها، فكأنه أخذ نصيبه من السخونة، أي السخونة هذه والحرارة التي تصيب الإنسان-التي هي عارض؛ لأن الحُمَّى إنما هي علامة على مرض-فهذه الأمراض عندما تصيب الإنسان ثم ترتفع درجة حرارته، الحديث يقول: هذا نصيب الإنسان المؤمن من النار، ثم في الآخرة يحرم على النار، هذا معنى الحديث.

قال الإمام ابن رجب-رحمه الله-:

"اختلف في إسناد هذا الحديث عَلَى أبي صالح الأشعري. فَقَالَ أبو الحصين الفلسطيني: عن أبي أمامة، عن أبي صالح.

وخالفه إسماعيل بن عبيد الله فرواه عن أبي صالح الأشعري، عن أبي هريرة، عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-أنه عاد مريضًا ومعه أبو هريرة من وعك كان به، فَقَالَ رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((أبشر فإن الله يقول: هي ناري، أسلطها عَلَى عبدي المؤمن في الدُّنْيَا، لتكون حظه من النار في الآخرة)). خرجه ابن ماجه من طريق أبي أسامة، عن عبد الرحمن بت يزيد، عن إسماعيل به، وعبد الرحمن بن يزيد بن تميم الدمشقي ضعيف. وقد خرجه الطبراني من رواية أبي المغيرة عن أبي تميم به".

---

(٢) كير الحداد: الَّذِي ينفخ به النار. «النهاية» (٤/ ٢١٧).

نعم، هذا الحديث يؤيد ما مضى، أن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-عاد مريضًا ومعه أبو هريرة من وعك كان بالمريض، فَقَالَ رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((أبشر)) أي الرجل مصاب بالحُمَّى، فقال له النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم: ((أبشر فإن الله يقول: هي ناري، أسلطها عَلَى عبدي المؤمن في الدُّنْيَا، لتكون حظه من النَّار في الآخرة)). أي تحرم عليه النار، ويكون حظه من النار فقط هذه الحرارة.

ثم كل الكلام هذا بعده سيتكلم عن الإسناد، قد ذكرت لكم سابقا، أن هذه طريقته، ينقل الأحاديث وينقل إسنادها.

قال: **"وخالفه سعيد بن عبد العزيز، فرواه عن إسماعيل بن عبد الله، عن أبي صالح، عن كعب الأحبار من قوله.**

قال الدارقطني: وهو الصواب. قال: ورواه شبابة، عن أبي غسان، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-.

قلت: ظنه أبا حصين الأسدي الكوفي-بفتح الحاء وكسر الصاد-وظن أبا صالح هو السمان، وكل ذلك وهم! إنَّمَا هو أبو حصين بضم الحاء وفتح الصاد-فلسطيني ليس بالمشهور، وأبو صالح هو الأشعري.

وقد روي هذا من حديث عائشة من رواية هشيم ثنا مغيرة، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة سمعت النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يقول: ((الحُمَّى حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ)). خرجه ابن أبي حاتم من طريق عثمان بن مخلد التمار الواسطي عن هشيم به، وذكره الدارقطني وقال في التمار: لا بأس به. قال: وخالفه مندل، فرواه عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عائشة موقوفًا، وهو المحفوظ. قلت: قد توبع التمار عَلَى روايته عن هشيم، فرواه نصر بن زكريا، عن جعفر بن عبد الله البلخي، عن هشيم، كما رواه التمار.

وقد روي عن عائشة من وجه آخر، خرجه الطبراني والبزار من رواية عمر بن راشد-مولى عبد الرحمن بن أبان بن عثمان-عن محمد بن عجلان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-. وعمر بن راشد هذا، قال ابن عدي: هو مجهول".

عن عائشة سمعت النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يقول: ((الحُمَّى حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ)). إذًا يؤيد نفس الحديث السابق، هذا الحديث عن عائشة، قالت: سمعت النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يقول: ((الحُمَّى حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ)).

قال الإمام ابن رجب-رحمه الله-:

"وروي من حديث عثمان بن عفان، من رواية الفضل بن حماد الأزدي، عن عبد الله بن عمران القرشي، عن مالك بن دينار، عن معبد الجهني، عن عثمان بن عفان، عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((الحُمَّى حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَة)). خرجه ابن أبي الدُّنْيَا والعقيلي. وقال في ابن عمران: لا يتابع عَلَى حديثه. قال: وإسناده غير محفوظ، والمتن معروف بغير هذا الإسناد.

وقال في موضع آخر: في إسناده نظر. قال: وهذا مروي من غير هذا الوجه، بإسناد أصلح من هذا يثبت، وهو صحيح، انتهى.

ومعبد الجهني هو القدري المبتدع".

عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((الحُمَّى حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَة)). أي حظه في الدنيا من النار يوم القيامة بنفس المعنى أن الحُمَّى تُحَرِّم عليه النَّار إذا أصابته في الدنيا.

قال: عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((الحُمَّى حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَة)). أي حظه في الدنيا من النار يوم القيامة بنفس المعنى أن الحُمَّى تُحَرِّم عليه النَّار إذا أصابته في الدنيا.

قال: **"وروي من حديث أبي ريحانة من رواية عصمة بن سالم الهُنائي، عن أشعث الحداني، عن شهر بن حوشب، عن أبي ريحانة، عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((الحُمَّى كِيرٍ مِنْ جَهَنَّمَ، وَهِيَ نَصِيبُ المُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ)). خرجه ابن أبي الدُّنْيَا وغيره.**

وروي من حديث أنس: رواه الطبراني من حديث الشاذكوني، ثنا عبيس بن ميمون، عن قتادة، عن أنس، عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((الحُمَّى حَظُّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ)). إسناده ضعيف.

وقد روي أيضًا من حديث ابن مسعود، ولا يصح.

وروي مرسلًا، خرجه محمد بن سعد في طبقاته: ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا إسماعيل بن مسلم العبدي، ثنا أبو المتوكل أن نبي الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-ذكر الحُمَّى، فَقَالَ: ((مَنْ كَانَتْ بِهِ، فَهِيَ حَظُّهُ مِنَ النَّارِ)). فسألها سعد ابن معاذ ربه، فلزمته حتى فارق الدُّنْيَا".

النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لما سُئل عن الحُمَّى أو ذكرت له الحُمَّى قال: ((من كانت به)) من أصيب بالحُمَّى ((فهي حظه من النار)) نفس المعنى أي بمعنى أنها تحرم عليه في الآخرة.

لما سمع سعد بن معاذ هذا من شدة خوفه من النار سأل الله أن يصيبه بالحُمَّى لكيلا يُبتلى بالنار في الآخرة، (فلزمته حتى فارق الدنيا)، نحن بعد ذلك سنناقش هل معنى ذلك أن للإنسان أن يسأل الله هذا؟ سنتناقش وسيتبين أن هناك أقوال في هذه المسألة وخصوصًا أنَّ سعد بن معاذ ثبت أنه سأل الله-عزَّ وجلَّ-الحُمَّى.

"وروي عن مجاهد قال: ((الحُمَّى)). من قوله، خرجه ابن أبي الدُّنْيَا: من رواية عثمان بن الأسود عن مجاهد قال: ((الحُمَّى حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ))-ثم قرأ: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا}[٣]. والورود في الدُّنْيَا هو الورود في الآخرة".

---

(٣) [سورة مريم: ٧١]

الآن كلام مجاهد هنا أتى في تفسير هذه الآية المشهورة التي في سورة مريم وهي قوله تعالى:

{وَإِن مِّنكُمْ} أي: يا أيها الناس كنتم مؤمنين أو كفار.

{إِلَّا وَارِدُهَا} (ها) الضمير عائد على النَّار، والورود ممكن أن يكون مرورًا، وممكن أن يكون دخولًا نَعُوذُ بِالله، وممكن أن يكون خلودًا نَعُوذُ بِالله، فقيل في ورودها: إصابة الإنسان بالحُمَّى في الدنيا.

{كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا} أي: لابد أن تردوها.

فحصل خلاف في ورود أهل الإيمان على النَّار فقيل: "هي المرور على الصراط"، وقيل: "إنها الحُمَّى في الدنيا"، بحيث أن مَن وردت عليه الحُمَّى في الدنيا يصبح كأنه وردها في الآخرة؛ لأن الحُمَّى كما ورد في أول حديث قرأناه: **((الحُمَّى مِنْ كِيرِ مِنْ جَهَنَّمَ))** فحينما تصيب الإنسان في الدنيا كأنه ورد النَّار التي في آية سوره مريم.

الآن كل الصفحات الماضية أورد الحديث بطرق متعددة؛ إذًا هذا الحديث عنده ثابت بشواهده، بقي أن نفهم معنى الحديث.

قال الإمام ابن رجب-رحمه الله-:

"اعلم أن الله تعالى خلق الجنة والنار، ثم خلق بني آدم، وجعل لكل واحد من الدارين أهلًا منهم.

ثم بعث الرسل مبشرين ومنذرين، يبشرون بالجنة من آمن وعمل صالحًا، وينذرون بالنار من كفر وعصى. وأقام أدلةً وبراهين دلَّت عَلَى صدق رسله فيما أخبروا به عن ربهم من ذلك، وأشهد عباده في هذه الدار آثارًا من الجنة، وآثارًا من النار.

فأشد ما يجده الناس من الحر من فَيْح جهنم، وأشد ما يجدونه من البرد من زمهرير جهنم! كما صح ذلك عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-[٤].

ورُوي أن برَد السحر الَّذِي يشهده الناس كل ليلة من برد الجنة حين تفتح سَحَرًا كل ليلة.

وروي عن عبد الله بن عمرو أن الجنةً معلقة بقرون الشمس، تنشر كل عام مرة. يشير إِلَى زمن الربيع، وما يظهر فيه من الأزهار والثمار، وطيب الزمان واعتداله، في الحر والبرد، وأبلغ من هذا كله، أن الله تعالى أشهد عباده في نفوسهم آثارًا محسوسة، يجدونها ويحسونها من آثار الجنة والنار".

الآن يريد أن يبين لنا كيف تكون الحُمَّى التي تصيب الإنسان من فَيْح جهنم ومن ثم محرمة للإنسان المؤمن الذي تصيبه من النار.

---

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧).

فقال:(اعلم أن الله تعالى خلق الجنة والنار): وهذا مما نتيقن به: نتيقن أن الله-سبحانه وتعالى-خلق الجنة والنَّار وأنهما الآن مخلوقتان موجودتان.

(ثم خلق بني آدم، وجعل لكل واحد من الدارين أهلًا منهم): أي أن العصاة أهلًا للنار، والطائعين أهلًا للجنة.

(ثم بعث الرسل مبشرين ومنذرين): يدلون الناس على طريق الجنة ويحذرونهم من طريق النار.

(يبشرون بالجنة من آمن وعمل صالحًا، وينذرون بالنار من كفر وعصى): وهذا مما نعتقده لأن الرسل أُرسلوا ليقولوا: "الله ابتلاكم في هذه الدار ولكم أعمال، فاعملوا من أجل أن تلحقوا بالصالحين الذين يدخلون الجنة، واحذروا أن تكونوا من الكافرين الذين يدخلون النَّار"؛ ولذا تجدين في كلام الرسل وصفًا للجنة، وتجدين وصفًا للنَّار.

وهذا مما يجب العناية به والاهتمام به وتكراره، فكلَّما قرأت في القرآن ووجدتِ وصفًا للجنة يجب أن تظهري إيمانك بالجنَّة في أن تتفكري فيما أخبر-سبحانه وتعالى-به في الجنة، وعندما تمرين على النَّار تتفكرين ما لأهل النَّار من عذاب. وهذا دليل الإيمان، دليل أنك مصدقة بوجود النَّار، مصدقة بوجود الجنَّة كذلك عندما تسمعين في الجنَّة أن الناس لهم فيها ما يشتهون-أي شيء يشتهونه يجدونه-هذه الآية التي في سورة الزخرف مثلًا قال الله تعالى: {وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[٥].

نجد في السنَّة مقابلها حديث للنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-كان يومًا يحدث وعنده رجلٌ من أهل البادية: ((أنَّ رَجُلًا مِن أهْلِ الجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ في الزَّرْعِ، فَقَالَ له: ألَسْتَ فِيما شِئْتَ؟-عندك ما يكفيك-قَالَ: بَلَى، ولَكِنِّي أُحِبُّ أنْ أزْرَعَ،-فأذن له رب العالمين-قَالَ: فَبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ واسْتِوَاؤُهُ واسْتِحْصَادُهُ، فَكانَ أمْثَالَ الجِبَالِ، فيَقولُ اللَّهُ: دُونَكَ يا ابْنَ آدَمَ، فإنَّه لا يُشْبِعُكَ شيءٌ))، فَقَالَ الأعْرَابِيُّ-الذي سمع الحديث من النبي-: واللَّهِ لا تَجِدُهُ إلَّا قُرَشِيًّا، أوْ أنْصَارِيًّا، فإنَّهُمْ أصْحَابُ زَرْعٍ-لأن أهل البادية لا يشتهون هذه الشهوة-وأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ النبيُّ-صلَّى الله عليه وسلَّم[٦].

فأنت إذا نظرت في الدنيا ماذا تحب؟ تحب العلم، تحب الزينة ماذا تشتهي؟ بالضبط ما تشتهيه في الدنيا؛ يأتي يوم القيامة لك في الجنة.

هذا الرجل كان يشتهي الزرع فمُكِّن من الزرع رغم أن هذا خلاف ما هو موجود؛ لأن الجنَّة فيها من كل الزروع لكن هو اشتهى أن يزرع بنفسه.

فلا تمر عليكم هذه الآيات العظيمة وتغفلون عنها، كيف أن الجنة فيها صحاف من ذهب وأكواب من ذهب؟ فإذا كانت الصحاف من ذهب فيها هذا الرونق! فماذا سيكون الطعام؟ وإذا كانت الكؤوس من ذهب! فماذا سيكون الشراب؟ كل

---

(٥) [سورة الزخرف: ٧١]

(٦) أخرجه البخاري (٢٢٢١).

هذا حق سيكون، لا بد أن تشغل نفسك به إيمانًا منَّا بأن الجنَّة والنَّار وعد الله بهما عباده وحثَّهم للقيام بالعمل وأن هذا الجزاء لمن آمن وهذا الجزاء لمن كفر، يجب أن تتأمل في الآيات ونتفكر فيها ولا تمر علينا كما يمر علينا أي شيء، كيف يكون حالكِ عندما تسمعين في الآيات أن في الجنَّة من النعيم ما يكون لذة للعين؟! قال تعالى: **{وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ}** كلمة (تلذّ) ذكرت ثلاث مرات في القرآن جاءت في سورة محمد وفي سورة الصافات وفي سورة الزخرف.

في سورة محمد قال الله تعالى: {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ}[٧] .

وسورة الصافات: {يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧)}[٨] .

أتى الكلام عن الشراب أن فيها شراب تلذُّ به الأنفس.

وأتى في سورة الزخرف: {وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

هنا فيها من النعيم ما تلذُّ الأعين، يعني حتى العين في الجنَّة ستتلذذ لما ترى من مناظر عظيمة، كل هذا لا بد أن تشغل نفسك به، لا بد أن تشغل نفسك بهذه الوعود العظيمة وهذا جزء من إيمانك باليوم الآخر، أن تكون الجنَّة وما فيها من نعيم على البال دائما–نسأل الله أن يجعلها على البال دائما ويشغلنا بها ويشغلنا عن الدنيا وما فيها من لذات بما سيكون من لذَّات لأهل الإيمان اللهم آمين–؛ لأنك بين الاختيارين ليس لك من خيار ثالث إما الانشغال بما وعد الله في جنات النعيم، وإما الانشغال بالدنيا التي هي ماره من المؤكد قال الله تعالى: {فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}[٩] .

فاجعل تفكيرك في الفوز الحقيقي واترك عنك هذا الفوز الوهمي.

فالشاهد عندما بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين يبشرونا بالجنَّة (من آمن وعمل صالحًا) وينذرون بالنار (من كفر وعصى) فالواجب أن نستبشر بما بشرنا الله به، والواجب أن نخاف بما حذرنا الله به، هذا يقوم مقام صلاتك صيامك يقوم مقامك، بمعنى أنك عندما تفعل هذا الفعل كأن هذا الأساس الذي تبنيه وتقوم عليه صلاتك وصيامك وعبادتك وبهذه العقائد تقوم العبادات؛ لأن المطلوب منك ليس الصلاة كما تعلمون، المطلوب منك إقامة الصلاة من أجل أن تقيم الصلاة لا بد أن يكون ذكر الدار الآخرة دائما تكون على البال.

على كل حال، قال ابن رجب–رحمه الله–: ((وأقام أدلة وبراهين دلت على صدق رسله فيما أخبروا به عن ربهم من ذلك)) عندما أرسل الله الرسل وبشروا وأنذروا، لم يأتوا بكلام مرسلًا بدون أدله بل جاؤوا ومعهم أدله واضحة–الحمد لله–وضوح

---

(٧) [سورة محمد:١٥]

(٨) [سورة الصافات:٤٥-٤٧]

(٩) [سورة آل عمران:١٨٥]

الشمس، من آمن عرفها وتيقن بها، ومن كفر غطَّاها وغفل عنها؛ ولذلك اسمه (كفر) لأن الكفر بمعنى: التغطية، فهو غطى الأدلة الدالة على كمال الله، وغطى ما في نفسه من فطرة دالة على الإيمان.

اتركوا الآن (مَن كفر)، حديثنا الآن عن من آمن:

الله-عزَّ وجلَّ-أرسل الرسل معهم براهين الذين آمنوا صدَّقوا هذه البراهين وأقبلوا على الرسل.

ويبقى موضوع الجنَّة وموضوع النَّار مسألة غيبية، لكن من فضل الله على خلقه أنه أشهد عباده في هذه الدار أشهد عباده في هذه الدار أثارًا من الجنة وأثارًا من النار-**هذه مقدمة لفهم الموضوع-**، أي: أعطانا نماذج في الدنيا حتى نتصور كيف ستكون الجنَّة، وأعطانا نماذج لكي نتصور كيف ستكون النَّار.

قال: (فأشد ما يجده الناس من الحر من فَيْحِ جهنم) أي: عندما يمر على الناس فصول متعددة منها يأتي فصل الصيف، وفي فصل الصيف يوجد وقت يكون أشد ما يكون من الحرارة، هذه الحرارة عندما تكون أشد ما تكون، تكون من (فيح جهنم)، أي أن الله-عزَّ وجلَّ-يطلق على الناس نَفَس من أنفاس جهنم، فيشعروا بالحرارة الشديدة لأجل أن يذكروا النَّار، وأشدِّ ما يجدونه من البرد-عندما يجدون بردًا شديدًا وخصوصًا في الجهات المعينة التي يكون فيها البرد أشد ما يكون عليهم-هذا يكون أيضًا من زمهرير جهنم، أي أن: الله-عزَّ وجلَّ-يترك جهنم تتنفس نفسًا فيأتي على أهل الأرض هذا البرد الشديد الذي يكون بمثابة الألم، يسبب الآلام، بمثابة العقوبة، ليس البرد النفحات التي تأتي في الربيع إنما البرد الشديد الذي هو بمثابة العقوبة.

إذًا أشدِّ ما يجدون النَّاس حرًا يكون من ماذا؟ من (فيح جهنم)، (وأشد ما يجدون النَّاس بردًا يكون من الزمهرير) ؛ كما صح عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-.

قال: (ورُوي أن برَد السحر) تأتي نسائم في الثلث الأخير من الليل في جميع العام إلا ما ندر لكن للثلث الأخير نسائم خاصة من تعرض لها يعرفها فقد ورد (أن برَد السحر الَّذِي يشهده الناس كل ليلة من برد الجنة حين تفتح سحرًا كل ليلة). أي أن الله-عزَّ وجلَّ-يفتح الجنَّة ليلًا ثم يأتي من نسيمها نسيم بسيط لأهل الجنَّة الذين يتعرضون له في السحر.

أيضا (روي عن عبد الله ابن عمر أن الجنَّة معلَّقة بقرون الشمس، تَنْشَر كل عام مرة) يعني: يقصد بذلك أن الشمس لها دورة، وهذه الدورة يأتي وراءها الفصول-كما أذن الله وجعلها سنَّة-، فالربيع كما قال ابن رجب: (يشير إلى زمن الربيع) يعني: عبد الله ابن عمرو يشير في كلامه إلى ما ينشره الربيع (وما يظهر فيه من الأزهار والثمار وطيب الزمان واعتداله، في الحر والبرد) كأن هذا من (ريح الجنَّة) جزء من الجنَّة، الربيع الذي يمر على النَّاس يعتبر كأنه نموذج (لحياة الجنَّة)، طبعًا مع الفارق الشديد بين الدنيا والآخرة لكن ليتصور الإنسان.

هذا الكلام معناه أن الله يرينا آثارًا من الجنة ويرينا آثارًا من النار.

فالاعتدال والزهور ووجود الخضرة في الربيع كأنه وصف لمجمل حال الجنَّة، والبرد الذي يأتي في الثلث الأخير، هذا كأنه ريح أتت من الجنَّة، وأشد ما يجدون الناس حرارة، أشد ما يجدون الناس برودة، هذا يكون من النَّار.

إذًا هذه جملة مهمة: (وأشهد عباده في هذه الدار آثارًا من الجنَّة وآثارًا من النَّار) حتى يقولوا: هذا في الدنيا فما حال الأخرة ماذا ستكون؟ وقد مر معنا هذا سابقًا أن الله-عزَّ وجلَّ-خلق الخلق وجعل فيهم العلم الذي من خلاله يستطيعون أن يستوعبوا أمورًا غيبية، وهذه هي الأمثال في القرآن، تذكروا هذا في الدورات الماضية! اتفقنا أنه لما ضرب الله مثلًا للكلمة الطيب التي في قلب المؤمن (كالشجرة الطيبة)، الآن الشجرة الطيبة الناس كلهم يدركونها، ماذا يراد أن تفهمي من الشجرة الطيبة، التي هي النخلة؟ في الحديث النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: أن هناك نخل من نخل البوادي يشبه المؤمن، إذًا النخلة تشبه من؟ تشبه المؤمن في [ثباتها، في ارتفاع أعمالها، في كثرة ثمراتها] هكذا المؤمن.

فالله خلق الخلق، وجعل لعباده في هذه الدنيا آثارًا، يعرفون من خلالها الحق من الباطل، وأيضًا جعل في الدنيا آثارًا من الجنة وآثارًا من النار.

يقول: (وأبلغ من هذا كله، أن الله تعالى أشهد عباده في نفوسهم آثارًا محسوسة، يجدونها ويحسونها، من آثار الجنة والنار).

أي: بعدما قرر أن في الدُّنيا هناك آثارًا للجنَّة وآثارًا للنَّار، قال لك: في نفس المؤمن هناك آثار للجنة وآثار للنار.

قال: "**وأبلغ من هذا كله أن الله أشهد عباده في نفوسهم آثارًا محسوسة، يجدونها ويحسونها من آثار الجنة والنار.**

فأما ما يجدونه من آثار الجنة: فما يتجلى لقلوب المؤمنين من آثار أنوار الإيمان، وتجلي الغيب لقلوبهم، حتى يصير الغيب كالشهادة لقلوبهم في مقام الإحسان. فربما تجلَّتِ الجنة أو بعض ما فيها لقلوبهم أحيانًا حتى يرونها كالعيان، وربما استنشقوا من أراييحها، كما قال أنس بن النضر يوم أحد: "واهًا لِريح الجنة! والله إني لأجد ريح الجنَّةِ من قِبَل أحد!!"

وأما ما يجدونه من آثار النَّار: فما يجدونه من الحُمَّى، فإنها من فيح جهنم، كما قال النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَاطْفِئُوهَا بِالمَاءِ)) (١٠)".

الآن إذا اتفقنا أن الله أشهد عباده في هذه الدار آثارًا من الجنَّة، وآثارًا من النَّار، فكذلك أشهدهم في أنفسهم آثارا من الجنَّة وآثارًا من النَّار، هذا هو الموضوع؛ لأن هذا هو الذي سيقربنا من موضوعنا، وهو كيف أن الحُمَّى التي تصيب المريض، إنما تحرِّمه على النار.

حسنًا، قال: (فأما ما يجدونه من آثار الجنة، فما يتجلى لقلوب المؤمنين، من آثار أنوار الإيمان)، وهذا معناه: أنه يتكلم عمن قوي إيمانه، وبلغ درجة الإحسان، حتى أنه يعبد الله كأنه يراه، ويرى الحقائق التي أخبر الله بها.

---

(١٠) متفق عليه.

قبل أن أكمل كلامه، دعونا نبدأ بالشاهد أفضل، الذي هو في آخر السطور هذه، قال: (كما قال أنس بن النضر يوم أحد)، هذه الحادثة مشهورة جدًا، وثابتة، أن أنس بن النضر-رضي الله عنه-في غزوة أحد التي كانت فيها القوة لأهل الشرك، والمسلمون كانوا في حال قلة، وكان أنس-رضي الله عنه-فيه من حرارة الدخول في هذا القتال والجهاد في سبيل الله، لنصرة الدين وليس لنصرة نفسه، كان فيه ما فيه من القوة، وقد أخذ تمرات يتقوى بهن؛ من أجل أن يدخل إلى ساحة المعركة، وهو كان على طرف هذه الساحة-و الأعداء يستقبلونه-وهو حامل سيفه وحامل هذه التمرات، فمن قوة ما معه من إيمان-رضي الله عنه-شمَّ ريح الجنَّة-شمًّا حقيقيًّا ليس وهمًا-حتى أنه استبطأ الزمن، يعني: أنه رأى الزمن طويل أن يأكل الثلاث تمرات؛ فألقاها ودخل وقُتِل، وكان نصيبه أن يكون من أهل الجنَّة في تلك الغزوة؛ ولذلك قال: (والله إني لأجد ريح الجنة، من قِبَل أحد) فدخل وقاتل وقُتِلَ وكان من الشهداء في سبيل الله.

المعنى الآن: أن الإنسان حين يقوى الإيمان عنده، فيبلغ درجة الإحسان فيعبد الله كأنه يراه، تتجلَّى له حقائق الغيب، حتى يصير الغيب كالشهادة لقلوبهم وهذا لا يكون إلا في مقام الإحسان، من يبلغ هذا المقام؟ لا يبلغه عبد بعيد عن باب الله، بالكاد يجرجر نفسه حتى يقف في الصلاة! ولا عبد يجد في نفسه شك، ولا عبد يجد نفسه لاهيًا بالدنيا، ولا عبد يجد نفسه مقبلًا على الدنيا مستدبرًا للآخرة، لا ليس هذا، إنما يرى هذا الأمر من قوي إيمانه، وجاهد نفسه، وبذل ما عنده في سبيل الله، فمثل هؤلاء يصلون إلى هذه الدرجة، صحيح أن قلَّة من يصلون إلى هذه الدرجة، لكن يُوصَل إليها، والإنسان يكون عنده طموح أن يصل إلى أن يعبد الله كأنه يراه، لكن لا يدخل في أوهام، يعني هو بعيد كل البعد، ضعيف كل الضعف، لا يتخبطه الشيطان، إنما هو سُلَّم يرتقيه الإنسان في (الجهاد والبذل، والعلم) ويرتقي ويرتقي، فإن أصابه من هذا شيء فهذا من نعمة الله-سبحانه وتعالى-ومثل هذا يكون سرًّا بين العبد وربه، فإن أصابه شيء من هذا لا يُحَدِّث به أحد، إنما مثل هذا لا ينقل ولا يوصف ولا يحكى، بل هو نعمة من الله فمن أُنْعِم عليه بذلك؛ فيسأل الله أن يزيده إيمانًا ويزيده إحسانًا -الله يزيدنا جميعًا إيمانًا وإحسانًا!-.

إذًا حديث أنس بن النضر، مثال لهذا:

أن الإنسان بنفسه يشعر بشيء من حقائق الجنة. متى؟ على حسب قوة إيمانه.

(أما ما يجدونه من النَّار، فما يجدونه من الحُمَّى)، يعني هذه الحُمَّى التي تصيب الأبدان، إنما هي من فيح جهنم كما سيأتي الحديث، قال: (فإنها من في جهنم) كما قال النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَاطْفِئُوهَا بِالماءِ)) لأنها حرارة تُصيب البدن، وإنما هي جزء من حرارة النار، يصيب البدن فالرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-أمرنا أن نطفئها بالماء. سنرى هذه الحُمَّى كيف تأتي..

قال: **وهي نوعان: حارة وباردة.**

فالحارة: من آثار (سموم)[١١] جهنم، والباردة: من آثار (زمهرير)[١٢]جهنم".

كيف تأتي الحُمَّى؟ إما: شِدَّة ارتفاع في درجة الحرارة أو شِدَّة برودة.

يعني حتى الحُمَّى لها نوعان: فإذا كانت حارة فهي من (آثار سموم جهنَّم)، وإذا كانت باردة هي من آثار (الزمهرير جهنَّم).

قال: **"وروى ابن إسحاق عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن أبي السائب–مولى عبد الله بن زُهرَة–عن أبي هريرة، عن النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–قال: ((إنَّ النار استأذنت ربها في نفسين، فأذن لها، فأما أحدهما فهذه (الجذوة)[١٣] التي تصيبكم من السماء، وأما الآخر فهذه الحُمَّى التي تصيبكم، فَإِذَا اشتدت عَلَى أحدكم، فليطفئها عنه بالماء البارد)). خرجه أبو أحمد الحاكم، وإسناده جيد، وهو غريب جدًّا!".**

هذا حديث إسناده جيد وإن كان فيه غرابة، أن ((النار استأذنت ربها في نفسين، فأذن لها، فأما أحدهما فهذه (الجذوة) التي تصيبكم من السماء، وأما الآخر فهذه الحُمَّى التي تصيبكم، فَإِذَا اشتدت عَلَى أحدكم)) الحُمَّى التي تأتي من النار، فماذا يفعل؟ ((فليطفئها عنه بالماء البارد)).

قال: **"فإذا كانت الحُمَّى من النَّار، ففي هذه الأحاديث السابقة أنها حظ المؤمن من نار جهنم يوم القيامة. والمعنى–والله أعلم–أن حرارة الحُمَّى في الدنيا تكفِّر ذنوب المؤمن، ويطهَّر بها، حتى يلقى الله بغير ذنب، فيلقاه طاهرًا مطهَّرًا من الخَبَث، فيصلح لمجاورته في دار كرامته دار السلام، ولا يحتاج إلى تطهير في كير جهنَّم غدًا؛ حيث لم يكن فيه خبث يحتاج إلى تطهير. وهذا في حق المؤمن الَّذِي حقق الإيمان، ولم يكن له ذنوب إلا ما تكفره الحُمَّى وتطهره".**

الآن نرى معنى الحديث، دعونا أولًا نستحضر مرة أخرى الحديث السابق ((الحُمَّى مِنْ كِيرِ مِنْ جَهَنَّمَ فَمَا أَصَابَ الْمُؤْمِنَ مِنْهَا، كَانَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ)).

هنا التوضيح قال: (فإذا كانت الحُمَّى من النار ففي هذه الأحاديث السابقة أنها حظ المؤمن من نار جهنم يوم القيامة ما المعنى؟ قال: والمعنى والله أعلم حرارة الحُمَّى في الدنيا تكفر ذنوب المؤمن).

يعني: الآن الإنسان عندما تأتي على باله ذكر الأمراض لا يأتي مقابلها الخوف الشديد الذي هو دليل الجزع، ولا النَّاس يهددونك بأوبئة ويخوفونك بها، لا، إذا كان هذا قدر فإن فيه من الخير ما فيه–نحن لا نتمناه ولكن لا نخاف–لا نكون جبناء ننظر لهذا النوع من البلاء نظرة من يرى أنه باب من أبواب تكْفير الذنوب.

قال: (والمعنى–والله أعلم–أن حرارة الحُمَّى في الدنيا تكفِّر ذنوب المؤمن، ويطهَّر بها) فيصبح طاهرًا ومهما كانت حرارة الحُمَّى ومهما كانت الآلام في الدنيا فهي لا شيء بالنسبة لنَّار جهنم، فهذا يعتبره المؤمن من أبواب الرحمة أن الله يطهر الإنسان قبل أن يلقاه.

---

(١١) الريح الحارة تكون غالبًا بالنهار. القاموس: مادة: "سمم".

(١٢) الزمهرير: شدة البرد، وهو الَّذِي أعده الله عذابًا للكفار في الدار الآخرة (النهاية) (٢/ ٣١٤).

(١٣) الجذوة: القبسة من النار. "ترتيب القاموس" (١/ ٤٦٥).

يقول: (حتى أن يلقى الله بغير ذنب) أي: يمشي على الأرض ما عليه خطيئة ولو مات بهذا يموت طاهرًا، فإذا مات طاهرا، (فيلقاه طاهرًا مطهرًا من الخبث) إذا كان طاهرًا مطهرًا من الخبث ما عنده ذنوب، مباشرة هذا يصلح لمجاورة الله في الجنة، يقول: (يصلح لمجاورته في دار كرامته دار السلام) وعلى ذلك نفهم لماذا المؤمنين مع إيمانهم ممكن أن يدخلوا النَّار على ذنوبهم؟ لأن الذنوب خبث والإنسان لا يمكن أن يجاور الرحمن في الجنَّة وفي قلبه أي نوع من الخبث فالإنسان المؤمن إذا حمل أوزارًا غير الشرك طبعًا-الشرك يخرجه من الإيمان-تأتي كفارات عليه (المرض كفارة، ما يحصل للإنسان من أزمات من حزن ومن آلام كفارة، يمكن أن تكون له أعمال صالحة تكون كفارة له، سكرات الموت كفارة، ما يحصل له في القبر كفارة، ما يحصل له عند قيام الساعة كفارة) .

- فإذا كُفِّرت الذنوب ومُحيت إلى أن يأتي وقت الحساب، ولم تعد عليه ذنوب؛ يدخل الجنَّة فتكون كل هذه كفارات.
- أو يكون لا زال فيه خبث فهو تحت رحمة الله إما يغفر له ذنبه إما يدخله النَّار، عندما يدخل النَّار يُطَّهَر ثم يخرج طاهرًا يصلح لمجاورة الله في جنته، فلا يصلح لمجاورة الله إلا المؤمن الطاهر من الخبث.

ولذلك نقول عن الرجل: هذا رجلٌ صالح، صالحٌ لِأي شيء؟ صالح لمجاورة الله في دار السلام، فمثل هذه الحرارة تطهر ذنوبه، ولا يحتاج إلى تطهير في كِيرِ جهنَّم غدًا.

إذا أصابته الحُمَّى يصير معنى ذلك أنه أصابه حظه من النَّار وطُهِر بذلك يقول: (حيث لم يكن فيه خبث يحتاج إلى تطهير) أي: تأتي هذه الحُمَّى تنزل عنه ذنوبه كلها، (وهذا في حق المؤمن الذي حقق الإيمان ولم يكن له ذنوب إلا ما تكفره الحُمَّى وتطهره) فمعنى ذلك: أن الإنسان إذا أُصيب بشيء من هذه الحُمَّى أو من هذه الأمراض يزيد تطهير نفسه بالتوبة والاستغفار، فتكون هذه الحُمَّى عليه زيادة طهارة ونقاء ويكون هذا حظه من نار جهنَّم.

على وجه العموم كل الأسقام تعتبر طهارة لكن خاصة الحُمَّى نصيب المؤمن من فَيْحِ جهنَّم.

لذلك انظروا إلى اسم الكتاب، اقرؤوا مرة أخرى اسم الكتاب من الخارج ماذا يقول: "البِشَارَة العُظْمَى لِلْمُؤْمِن بِأَنَ حَظَهُ مِنْ النَّارِ الحُمَّى" يعني: المؤمن قوي الإيمان الذي بعيد عن الذنوب -كبار الذنوب- الذي يمشي في الطريق مجتهدا إذا أصابته الحُمَّى، هذا حظه من النار، تكفر سيئاته ويصير يصلح لمجاورة رب العالمين، ويكون بهذا كأنه حُرِّمت عليه النَّار؛ لذلك هو يقول لك: **"البِشَارَة العُظْمَى"** يعني: هذا شيء يستحق أن تستبشري به، أن يكون حظ الإنسان المؤمن من النَّار الحُمَّى فقط تصيبه وتذهب بذنوبه، ويموت طاهرًا، ويدخل إلى جنات النعيم، فبهذا أؤكد عليكم أول الكلام، بهذا لا يوجد خوف، لا تخَف من الأوبئة، لا تخَف منها، كن شجاعًا، متوكلًا على الله، واعلم أنه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك، فلا تدع أحد يخيفك، أنت مؤمن متوكل على الله حتى إن إصابتك الأوباء فهذا سيكون لك بُشارة عظمى (أن حظك من النَّار هذه الحُمَّى التي تصيب الناس) وأنتم تعلمون طبعًا الآن إن هذه الأوبئة أول شيء فيها الحُمَّى؛ ولذلك هم أول الأمر يقيسون درجة الحرارة للناس ويتأكدون ما أحوالهم، هذا الوباء أو غيره ليس هناك شيء يخيف، المؤمن مطمئن بأمرين:

الأول: بأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

الثاني: إن أصابه شيء من هذا فلن يذهب هباءً منثورًا.

يعني: ليسوا أهل الإيمان الذين يخيفونهم النَّاس، ولا هذه الأوبئة، أو هذه الأمراض، أو أنَّنا لا ندري هذه الأوهام ممكن تكون أصلا أو حقيقة.

لكن المهم أنت في بيتك جالس مطمئن لله، ولأقدار الله ولما ينزل عليك من الله، وتتصرف كما يرضى الله، لا بد أن يكون هذا حالك في كل المواقف حتى حين تهجم الأوهام.

الآن، ما الواجب علينا أن نفهم؟ الواجب علينا أن نفهم أن الله-عزَّ وجلَّ-بمنِّه وكرمه جعل الأمراض التي تصيب النَّاس جميعًا، تنزل على المؤمن تكون لها حال، تنزل على الكافر تكون لها حال، يعني: إذا أرض وقع فيها الطاعون، التي يسمونها اليوم (الأوبئة)، فيها كفار، وفيها مسلمون، كيف تكون الحال؟ على الكفار غضب وعذاب، وعلى المؤمنين كفارة ورفعة درجات، فهذا الأمر نحن لا نخطئه أبدًا، أنه حتى لو جمع المؤمن والكافر في مكان واحد ونزلت عليه نفس المصيبة، فإنها تكون على المؤمن شأن، على الكافر شأن، لكن المؤمن لابد أن يظهر إيمانه، الآن الذي يشغلنا حين تأتي مثل هذه الأوبئة وغيرها، تهاجم العالم-ونحن جزء من العالم-المؤمن لابد أن يكون له موقف متفرِّد مختلف عن الكافر.

الكافر: له موقف الخوف والجزع، وله موقف الهرب من كل ما يؤذيه.

المؤمن: مقابله يحمل الشجاعة، أولًا: يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وأن كل ما يكتبه الله خير، وليست الخيرية عند المؤمن مقياسها الدنيا فقط، إنما الخيرية أن تقع علينا أمور هنا في الدنيا فينفعنا الله بها في الآخرة، هذه أهم ما نحصله في الدنيا من خير.

فلذلك نرى مثل هذا الحديث بشارة لك يا أيها المؤمن، كما ذكر ابن رجب: أن أي حُمَّى تصيبك فهي كفارة لذنوبك، وإذا كانت هذه الحُمَّى قوية جدًا فأذهبت قوتك وصحتك، **فلتبشر** "ذهاب القوة والصحة هنا في الدنيا، سيساوي في الآخرة أن تُحَّرم على النَّار" تصير الحرارة التي ذُقْتَهَا في الدنيا مانعه لك من حرارة النَّار-وطبعًا لا مقارنة بين حرارة الحُمَّى في الدنيا وبين نار الآخرة-ومن ثم تكون بشارة للمؤمن.

يبقى علينا أن نجمع في قلوبنا الثقة بالله، والتوكل على الله، ومعرفة أن الله هو الشافي، ومعرفة أن هذه البلاءات إذا نزلت رفعت درجة المؤمن وأهلكت الكافر.

فالحمد لله رب العالمين، الحمد لله رب العالمين.

الآن سننتقل للأمراض عمومًا...

قال الإمام بن رجب-رحمه الله-:

"وقد تواترت النصوص عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-بتكفير الذنوب بالأسقام والأوصاب، وهي كثيرة جدًّا يطول ذكرها. ونحن نذكر هاهنا من ذلك بعض النصوص المصرحة بتكفير الحُمَّى".

يعني النصوص التي ورد فيها أن الأسقام والأوصاب تُكفِّر الذنوب كثيرة جدًا، يعني كأن هذا أصل من الأصول الإيمانية، أن تعرفي أن الأمراض تُكَفِّر سيئات المؤمن بسبب إيمانه، بشرط أن يكون مؤمنًا ونعيد مرة أخرى:

ينزل البلاء على المؤمن فيرفع درجاته، وينزل البلاء على الكافر فيهلكه.

الآن هو سيذكر جانبا من هذه النصوص الدالة على أن الأسقام والأوصاب تُكَفِّر ذنوبه بشرط أن يكون الإنسان مؤمنًا.

قال: **"ففي (صحيح مسلم) عن جابر: أن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-دخل عَلَى أم السائب-أو أم المسيب-فَقَالَ: ((مَا لَكِ تُزَفْزِفِينَ))[١٤] قَالَتِ: الحُمَّى، لا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا. قَالَ: ((لا تَسُبِّي الحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ الخَبَثَ))".**

"تُزَفْزِف" ترتعد من البرد، فسألها النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((مَا لَكِ تُزَفْزِفِينَ؟)) قالت: الحُمَّى ثم دعت على الحُمَّى: (لا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا).

قال النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((لا تَسُبِّي الحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ الخَبَثَ)).

إذًا هذا تقرير أن الحُمَّى التي هي الحرارة أو البرودة كما مرَّ معنا تذهب خطايا بني آدم، ((كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ الخَبَثَ)) يعني: عندما يدخل الذهب في الحرارة تُذهب الحرارة خَبَث الذهب فيبقى الذهب خالصًا، هكذا الذنوب والمؤمن والحرارة، حرارة الحُمَّى ماذا تفعل؟ تبقيه ذهبًا خالصًا وتذهب عنه الأوساخ التي هي الذنوب.

يعني النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-هنا:

شبه المؤمن بالمعدن الأصيل كالذهب والفضة.

وشبه الحُمَّى مثل النَّار، مثل ((الكِيْر)) الذي يُنْفَخ فيه، إذا دخل هذا الذهب الخالص أو المعدن إلى النار ماذا يحصل؟ ذَهَبَ وسخه، وإذا المؤمن أصابته الحُمَّى والحرارة ذهبت ذنوبه.

فعلى ذلك الذنوب أوساخ، والحُمَّى النار التي تذهب هذه الأوساخ.

قال: **"وخرج ابن ماجه من حديث أبي هريرة عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-معناه.**

وخرج الحاكم من حديث عبد الرحمن بن أزهر أن رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((مَثَلُ العَبْدُ الْمُؤْمِنُ حِينَ يُصِيبُهُ الْوَعْكُ أَوِ الحُمَّى، كَمَثَلُ حَدِيدَةٍ تَدْخُلُ النَّارَ، فَيَذْهَبُ خَبَثُهَا، وَيَبْقَى طَيِّبُهَا)). وقال: صحيح الإسناد. وقال غيره من الحفاظ: لا أعلم له علة".

---

(١٤) تزفزف: (ترتعد من البرد، ويروى بالراء) (النهاية).

هنا بيان نفس المعنى أن المؤمن ((حِينَ يُصِيبُهُ الْوَعْكُ)) يعني: المرض أو الحُمَّى خاصةً، مثل: ((حَدِيدَةٍ))-هذه الحديدة من خالص هذا المعدن-إلا أن عليها (خبث): أوساخ. إذا أدخلت الحديدة النَّار خرجت خالية من الأوساخ؛ معدن صافٍ، والوسخ ينفصل عنها.

والمؤمن مثل: الحديدة.

والذنوب مثل: الأوساخ.

والحُمَّى مثل: النَّار.

ماذا تفعل؟ تصيبه تزيل أوساخه، نفس المعنى السابق، يعني: تبقيه خالصًا.

قال: "**وخرج الترمذي من حديث عائشة: أنها سألت النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-عن قوله تعالى: {وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ}**[١٥] **وعن قوله: {مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}**[١٦] **فَقَالَ: ((هَذِهِ مُعَاتَبَةُ اللَّهِ الْعَبْدَ بها يُصِيبُهُ مِنَ الحُمَّى وَالنَّكْبَةِ حتَّى البِضاعةُ يضعُها في جَيْبِ قميصِهِ فيفقِدُها فيفزعُ لذلك، حتَّى إنَّ العبدَ ليخرجُ مِن ذنوبِهِ كما يخرجُ التِّبْرُ الأحمرُ من الكيرِ)). وقال: حسن غريب**".

هذا سؤال من عائشة-رضي الله عنها-للنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-في قوله تعالى: {وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ} وفي قوله تعالى: {مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} فهي تنتظر أن يكون العفو من الله-عزَّ وجلَّ-لخلقه، فكيف كل سوء نعمله نجز به؟ فقال النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((هَذِهِ مُعَاتَبَةُ اللَّهِ الْعَبْدَ بها يُصِيبُهُ مِنَ الحُمَّى وَالنَّكْبَةِ)). الآن أي سوء يعمله الإنسان في الدنيا قبل الآخرة له كفارات، من الكفارات التي يعاتب الله بها خلقه فيذهب عنهم آثار أعمالهم حتى لا تجتمع عليهم الصغائر فتهلكهم، وهنا أمر مهم يجب أن نعرفه وهو أن الإنسان يقترف في حياته من الذنوب إما صغائر وإما كبائر.

أما الصغائر: إذا اجتمعت أهلكت الإنسان كما في الحديث المشهور لما شبه النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-حين تجتمع الصغائر على الإنسان بقوم نزلوا واديًا وأرادوا إنضاج طعامهم، فأتى هذا بعود وأتى هذا بعود، وأتى هذا بعود-بخشب-، فوضعوه وأشعلوا النار، فأنضجوا طعامهم[١٧] وهكذا الصغائر تجتمع على الإنسان. فلو حُوسِب عليه يدخل النَّار، وتهلكه صغائر الذنوب، فأنتِ لا تستهيني بكلمة صغيرة، فإن الصغيرة تجتمع وتجتمع حتى تصبح كبيرة، فالصغائر المجتمعة في حياتنا مشكلة كبيرة.

---

(١٥) [سورة البقرة: ٢٨٤]

(١٦) [سورة النساء: ١٢٣]

(١٧) والحديث عن سهل بن سعد الساعدي عن النبي . قال : «مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذنوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نزلُوا بَطْنَ وادٍ، فجاءَ ذَا بعودٍ، و جاءَ ذَا بعودٍ، حتى حَمَلُوا ما أنضجُوا بِهِ خبزَهُم، و إنَّ مُحَقَّرَاتِ الذنوبِ متَى يُؤْخَذْ بِها صاحبُها تُهْلِكْهُ» صحيح الجامع.

الشيء الثاني الذي قد يقترفه الإنسان: كبائر الذنوب وهي الذنوب التي أتى في القرآن والسنَّة عليها وعيد، لعن، أخبر-سبحانه وتعالى-أنه لا يحب أهلها، أخبر أن الذي في قلبه منها شيء لا يدخل الجنة، فهذه كبائر.

يعني الصغائر المجتمعة والكبائر إذا حوسبنا عليها كما هيا نهلك، لكن الله-عزَّ وجلَّ-بكرمه فتح للنَّاس بابًا لينفذوا من هذا الهلاك، من هذا الباب أن تكون هناك مكفرات.

مكفرات في الدنيا تكفر الصغائر وتكفر الكبائر، وقد مر معنا أن الإنسان يصيبه في الدنيا ما يصيبه من هذه الأمور التي سنتناقش فيها الآن؛ فإذا ما كفرت خطاياه أتت سكرة الموت وما فيها من شدَّة كفرت خطاياه، فإذا لم تنتهِ الخطايا مازالت، أتى القبر وما يحصل فيه من عذاب، فَكَفَّرَ شيء من خطاياه، وكل هذا لاحظوا أن هذا أهون من عذاب النار، أي سكرة الموت وما يجده الناس فيها من شدة وكونها تحصل بها كفارات مقابل عذاب النَّار سيعتبر ماذا؟ أهون، وأيضا في القبر وما يحصل فيه مقابل عذاب النَّار أهون، وعرصات يوم القيامة يحصل ما يحصل من الشدَّة لصاحب الذنوب لتكفر سيئاته سواء كانت (صغائر مجتمعة أو كبائر)، واضح لكم ترتيب هذه المراحل؟

أي: كأنَّنا أمام أربعة مراحل:

١-**المرحلة الأولى**: أنه في الدنيا قبل ما يأتي الموت يصاب بأمور تكفر عنُّه سيئاته سواء الصغائر مجتمعة أو الكبائر، فإذا كانت ذنوبه أعظم من هذه جاءت المرحلة الثانية.

٢-**المرحلة الثانية**: سكرات الموت، فإذا كانت ذنوبه أعظم جاءت المرحلة الثالثة.

٣-**المرحلة الثالثة**: وهي ما يحصل في القبر. وإذا كانت ذنوبه أعظم المرحلة الرابعة.

٤-**المرحلة الرابعة**: عرصات يوم القيامة، فإذا كانت ذنوبه أعظم؛ إما يدخل تحت عفو الله أو الشفاعة لكيلا يدخل النَّار، أو يكون ذنوبه أكبر فماذا يحصل؟

يدخل النَّار ثم يخرج من النَّار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان. يعني: ذنوبه عظيمة كالجبال وما معه من إيمان إلا ذرة فتأتي هذه الكفارات إلى أن يدخل النَّار، ويكفَّر عنه وهذا المثقال من الذرة أيضًا يخرجه من النار.

أهم شيء في هذا كله أن يكون مثقال الذرة إيمان-توحيد الله-.

نسأل الله أن يبعدنا عن هذا كله نحن ووالدينا وذرياتنا والمسلمين أجمعين! ولنفهم الحالة التي الإنسان ممكن أن تأتي سكرة الموت فيجد ملائكة الرحمة تستقبله وتقول له: "لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون" ويكون في قبره مُستأنسًا بعمله الصالح، وعندما يخرج تستقبله الملائكة، بعد ذلك لا تسألي عن النعيم الذي سيكون فيه. هذا كيف تكون حالته؟ لا يوجد أحد معصوم من الذنوب، لابد أن تكون هناك ذنوب، لكن العصمة تكون من الذنوب العظيمة-فهذه أول حالة له أنه معصوم من الكبائر العظيمة-وحتى لو وقع في الكبائر العظيمة، يكون تاب توبةً عظيمة.

يأتي الأمر الثاني الذي يجعل الإنسان عندما يأتي عند القبر، تأتي سكرة الموت، يكون ممن تستقبله ملائكة الرحمة أن يصيبه هذا-الذي سنناقشه الآن في الحديث-الذي هو الآلام سواء الآلام البدنية أو الآلام النفسية.

الآن في حديث النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يقول: ((هَذِهِ مُعَاتَبَةُ اللَّهِ الْعَبْدَ بها)) يعني أن الله-عزَّ وجلَّ-يزيل عن العبد هذه الذنوب بهذه الأمور قال: ((يُصِيبُهُ مِنَ الحُمَّى وَالنَّكْبَةِ)) أي نكبة تحصل له، والحُمَّى أي مرض يقع على بدنه، والنكبة النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-أتى بنموذج لهذه النكبة قال: ((حتَّى البِضاعةُ يضعُها في جَيْبِ قميصِهِ)) يضعها في جيبه ((فيفقِدُها)) تضيع ((فيفزعُ لذلك)) رأيت هذه الفزعة التي تتألمي فيها نفسيًا تجلب كفارات للذنوب.

فهذا معنى قول الله-عزَّ وجلَّ-: {مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} عندما يجزى به بمثل هذه الأمور، لا تفكري في أنه ضاع مال، حصل لي كذا وكذا. أصبت بالآلام، فكري في الجزء الثاني الجانب المشرق من حصول هذا الأمر ماذا سيحصل؟ تكفر الذنوب به، حتى يأتي الرجل لحظة قبضه، تستقبله ملائكة الرحمة ويكون هذا الألم وهذا الألم وهذا الألم (النفسي والجسدي والبدني) قد كَفَّر عنه ذنوبه وجُوزيَ به {مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} ونحن لابد أن نلحظ أن عمل السوء الذي يحصل للإنسان كثير ما ندخله ونخرج منه ونحن لم نشعر بأنفسنا. وكم من إنسان يؤذي إخوانه المسلمين مثلًا وهو لا يشعر مثلًا: يؤذيهم، يدفعهم، يقول كلمة تجرحهم وهو لا يبالي، لكن الله يصيبه بمثل هذه الأمور من أجل ألا يأتي يوم القيامة ويلقاها في وجهه، إنما تأتيه من الآلام والنكبات ما يمحو عنه مثل هذا.

إذًا هذا من فضل الله علينا، وأنت انظري لا يوجد ألم نفسي ولا ألم بدني إلا والإنسان يُكَفَّر له بهذا الألم، كما في الحديث: ((حَتَّى البِضَاعَةُ يَضَعُهَا فِي جَيْبِ قَمِيصِهِ فَيَفْقِدَهَا فَيَفزَعَ لِذَلِك)) فتُكَفَّر عن سيئاته بذلك ((حَتى إِنَّ العَبد لَيَخْرُج مِن ذُنُوبِهِ، كَمَا يَخْرُج التِبْرِ الأَحْمَر مِن الكِير)) والمقصود الذهب. يخرجونه من الجبال مليء بالأوساخ، ويضعونه تحت النَّار فيخرج ذهبًا صافيًا. هنا ألم، وهنا ألم، وهنا، بعد ذلك يخرج الإنسان من الدنيا صافيًا.

كل هذا من فضل الله-عزَّ وجلَّ-علينا، الشاهد بالنسبة للحديث الذي نتدارسه أن الله يصيبه بالحُمَّى، فصارت الأمراض من أعظم أبواب كفارات الذنوب.

قال: **"وخرج ابن أبي الدُّنْيَا من حديث أبي الدرداء عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((إنَّ الحُمَّى (والمَلِيلَة)[١٨] لا تَزالان بِالمؤمِنِ، وإنَّ ذَنْبَهُ مِثلُ أُحُدٍ، فمَا تَدَعُهُ وعليهِ من ذنبه مِثقالُ حبةٍ من خَرْدَلٍ)).**

وخرجه الإمام أحمد، وعنده: ((إنَّ الصُّداعَ والمَلِيلَةَ))".

في الحديث: ((إنَّ الحُمَّى)) كما عرفنا وهي الشاهد لهذا الحديث ((والمليلة)): هي حرارة الحُمَّى ووهجها، أي: أعلى ما يكون في وقتها لَمَّا تبلغ درجة الحرارة العالية.

(١٨) المليلة: حرارة الحمى ووهجها. "النهاية" (٤/ ٣٦٢).

وأيضًا الزيادة عند أحمد: ((إِنَّ الصُّداعَ والمِلِيلةَ)) الصداع: الألم الذي تعرفينه في الرأس، الذي من نعيم الجنَّة أن أهلها لا يصدعون، لا يوجد صداع في الجنة، لم؟ لأنه لا توجد ذنوب فلا يوجد صداع، المؤمن في الدنيا والكافر يصدع، المؤمن كفارة لذنوبه، والكافر وباء عليه وعقاب.

ماذا يقول النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((إِنَّ الحُمَّى والمِلِيلةَ)) وفي الرواية الثانية: ((إِنَّ الصُّداعَ والمِلِيلةَ)) لا تزالان في المؤمن وإن ذَنْبهُ مثل أُحُد-يعني ذنوبه عظيمة مثل جبل أُحُد ((فمَا تَدَعُهُ)) يعني: الحرارة والصداع ما تتركانه ما تتوقف ((وعليهِ من ذنبه مِثقالُ حبةٍ من خَرْدَلٍ)). يعني: متى تتوقف؟ عندما تُزيل عنه الذنوب التي مثل جبل أحُد، سواء كانت الحرارة، أو الصداع أو المليلة أو الحُمَّى إلى آخره.

إذًا هذا دليل على أن هذه الأمراض التي تُصيب الإنسان بطبيعة الإنسان يخاف منها ويهرب، لكن المؤمن ينظر لنفس الموضوع بصورةٍ أخرى.

فالمؤمن والكافر يصابان بالأمراض، المؤمن والكافر يصابان بالنكبات، كل هذه المصائب على المؤمن كفارة للذنوب ورفعة للدرجات، وعلى الكافر زيادة فيما هو عليه من كفر، وزيادة لهلاكه. فأنت لا تفكر إلا في المؤمن كيف يكون حاله؟ وهذه حاله. فلا يستوي المؤمن مع والكافر أبدًا ولا في شيء، حتى في المرض عندما ينزل عليهما:

المؤمن يرفع دراجاته، يكفر سيئاته، يفتح له باب لِزيادة الإيمان، زيادة الرجاء، زيادة اليقين أن الله شافي، وزيادة التوكل على الله، وزيادة الثقة بالله.

والكافر إنما يكون في حالة من الجزع الشديد.

فأنت لا تشبه الكافر أبدًا في أي شيء من ذلك، بل كن على ثقة أن كل بلاءٍ في الدنيا، الله-عزَّ وجلَّ-يرفع به الدرجات، وسيتبين أن هذا إيمان وتقوى من الإنسان، ومع ذلك فهذا لا يمنع أبدًا أن يدعو الإنسان وأن يسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يصرف عنه سيء الأسقام، ولكن لو وقع على الإنسان فلابد من حسن الظن بالله.

فهذان نصان واضحان جدًا في مسألة الحُمَّى، وأيضا أضاف علينا الصداع.

قال: "**وخرج الطبراني من حديث أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا جَزَاءُ الحُمَّى؟ قَالَ: ((تَجْرِي الْحَسَنَاتُ عَلَى صَاحِبِهَا، مَا (اخْتَلَجَ)[١٩] عَلَيْهِ قَدَمٌ، أَوْ ضَرَبَ عَلَيْهِ عِرْقٌ)). فَقَالَ أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُمَّى لَا تَمْنَعُنِي خُرُوجًا فِي سَبِيلِكَ، وَلَا خُرُوجًا إِلَى بَيْتِكَ، وَلَا إِلَى مَسْجِدِ نَبِيِّكَ.**

قال: فلم يُمَس قط إلا وبه الحُمَّى!".

هذا الحديث لأبُي ابن كعب، سأل الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((مَا جَزَاءُ الحُمَّى؟)).

---

(١٩) أصل الاختلاج: الحركة والاضطراب (النهاية) (٢/ ٦٠).

فقال الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((تَجْرِي الْحَسَنَاتُ عَلَى صَاحِبِهَا)) يعني: بسبب وجود الحُمَّى تجري الحسنات ((مَا اخْتَلَجَ عَلَيْهِ قَدَمٌ)) يعني: بسبب الحُمَّى الإنسان من شدَّتها لا يستطيع أن يقف ثابت في الأرض فتختلج قدمه، ((أَوْ ضَرَبَ عَلَيْهِ عِرْقٌ)) يعني: يصاب بألم، ألم بسبب الحُمَّى في عروقه. كلَّما اخْتَلَجَ عليه قدم، أو ضَرَبَ عليه عرق، أو جاءته آلام في بدنه؛ جرت عليه الحسنات. لم يقل: "كُتبت له حسنة". لا حظوا تعبير النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-، بل قال: ((تَجْرِي الْحَسَنَاتُ عَلَى صَاحِبِهَا مَا اخْتَلَجَ عَلَيْهِ قَدَمٌ، أَوْ ضَرَبَ عَلَيْهِ عِرْقٌ)).

هذا جعل أُبَيٍّ-رضي الله عنه-يرى أنه باب عظيم من أبواب الحسنات فطمع في هذا الباب. وهنا سنقرر:

كيف يكون الطمع في هذا الباب؟ كيف يكون حالنا مع هذا الباب؟

على كل حال لنرى أُبَيٍّ ماذا فعل؟ بعد ذلك نتفق نحن ما حالتنا؟ وتسمح بأي شيء حالتنا؟ لكن الله يغفر لنا ويستر علينا.

ماذا قال أُبَيٍّ؟ قال: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُمَّى، لَا تَمْنَعُنِي خُرُوجًا فِي سَبِيلِكَ، وَلَا خُرُوجًا إِلَى بَيْتِكَ، وَلَا إِلَى مَسْجِدِ نَبِيِّكَ)) يعني: يريد الحمى ماذا تفعل به؟ مرض لكنه لا يمنعه القيام بأبواب الحسنات العظيمة (الجهاد) في سبيل الله، الخروج إلى بيتك يعني (الحج)، ولا مسجد نبيك هذا هو (الصلاة) أي: أنه يذهب إلى مسجد النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-مصليا.

قال: (فلم يُمَس قط إلا وبه الحُمَّى!) يعني: لا أحد يلمسه إلا ويجد درجة حرارته عالية، طبعا هو في هذا الحديث الذي تجري عليه الحسنات جريًا عظيمًا.

نرى الآن نحن كيف تكون حالتنا.

عندما تنظرين لهذا الصحابي-رضي الله عنه-، تجدين أن الذي دفعه لهذا **قوة الإيمان**، فقوة الإيمان تجعل الأمور حين تقع على الإنسان تقع هينة لينة، حتى المصائب عندما تقع على الإنسان بسبب قوة الإيمان تقع على الإنسان أهون ما تكون؛ لأن الإيمان يمنع التألم الشديد من المصائب، الإيمان يجعل الإنسان ينظر لنفس الشيء-المؤلم-على أنه أمر مفرحًا.

نضرب مثالًا على ذلك ليقرب التصور لكم:

امرأة مثلًا حامل بعد زمن طويل من عدم وجود الأطفال-كانت لا تنجب ورزقها الله-وجاءتها آلام الطلق، هي في حكم أي امرأة آلام الطلق تعتبر شيء عظيم وشديد، لكن في حقها الآن وهي مشتاقة للطفل تكون هذه الآلام بمثابة البُشرى-أول ما جاءتها الآلام هي فرحت وأمها فرحت وتبقى تقول لها: ألم هيّن بسيط، بعدها سيأتينا هذا الطفل-والجميع تدخل عليهم مشاعر السرور، رغم أنها هي تتألم، لكن هذا الألم إنما هو مفتاح لبُشْرى بعده. هل تصورتم هذا الأمر المحسوس بالنسبة لنا؟ آلام لكن جاءت لنا السعادة، تصوري مثل هذا عندما يكون الإنسان مؤمنًا إيمانًا عظيمًا، ويرى أن حرارة تمس بدنه وآلام تمس بدنه بابا من أبواب تجري بها الحسنات.

انظري ما الفرق الآن؟ الفرق أن الأم التي جاءها الطلق، هي وأمها وأهلها فَرِحين، سيخرج أمرًا محسوسا؛ لأنه أمرٌ محسوس فالناس يشعرون أن هذا الأمر يستحق، أن الأم هذه تحتمل الآلام وتُسعد بالآلام؛ لأنه محسوس؛ لأنه سيخرج الطفل محسوس، لكن الحسنات؟ أمر غيبي، فجريانها وتصور الملك وهو يكتبها، يكتبها، يكتبها، لا يشعر به إلا المؤمن **قوي الإيمان**، الذي وصل إلى درجة الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، وكأنه يرى ملائكته تكتب الحسنات، فيكون في هذه الحالة هذا باب هيّن، يعني: كأنه يقول: ما أسهل هذا الباب-تكون عندي حرارة وسخونة وأهم شيء ما تمنعني عن طاعة الله لأنه قال هذا: ((لَا تَمْنَعُنِي خُرُوجًا فِي سَبِيلِكَ ، وَلَا خُرُوجًا إِلَى بَيْتِكَ، وَلَا إِلَى مَسْجِدِ نَبِيِّكَ)) فكأنه يقول ما أهونها، الملائكة تكتب، تكتب، تجري الحسنات وأنا حتى لا أعمل عمل، أنا جالس في مكاني، لكني أصبر على قليل ألم، وتجري عليَّ الحسنات.

إذًا متى يصل الإنسان لهذه الحال؟ الذي يكون فيها ليس فقط راضٍ بما قسم الله، إنما يتمنى أن يكون له حال مثل هذه الحال عندما يقوى الإيمان.

حتى تتصورا هذه المسألة، تصوروا التي أعلى منها كما أخبر الله في آل عمران، الله أخبر في آل عمران عن صحابة النبي الكريم-رضي الله عنهم-، الذين قال فيهم: {وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ}[٢٠].

{تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ} يعني كانوا في المدينة وما حالهم؟ كان حالهم يتمنون أن يخرجوا إلى القتال في سبيل الله وأن يقتلوا، من هذا الذي يتمنى أن يقتل؟ الذي يتمنى أن يُقتل في سبيل الله لابد أن تكون عنده قوة إيمان.

الآن نفهم لماذا أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ-رضي الله عنه-تمنى هذا الأمر؟ تمناه لشدَّةِ إيمانه، لكن لمن تكون حاله مثل حالتنا-الله يغفر لنا-فنحن نطلب السلامة، إذا وقع علينا البلاء صبرنا واحتسبنا، وإذا ما وقع طلبنا من رب العالمين العافية.

إذًا ما هو الأصل؟ أن نطلب من رب العالمين العافية؛ لأن الإنسان لا يعرف نفسه ولا إيمانه، فيخشى أن تقع عليه مصيبه مثل هذه فلا يصبر.

إذًا الأصل طلب العافية لكن إذا نزل البلاء احتسبنا على الله.

الآن ابن رجب سيوضح لنا ما معنى ((**إجراء الحسنات عليه**)) .

قال: "**ومعنى إجراء الحسنات عليه، كتابة ما كان يعمله في الصحة، مما منعته منه الحُمَّى، كما ورد تفسيره في أحاديث آخر صريحًا.**

إذًا تجري الحسنات على صاحبها وإن كان به ما به من مرض.

---

(٢٠) [سورة آل عمران: ١٤٣]

"وكان النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-إذا عادَ من به الحُمَّى قال له: ((طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)) يعني أنها تطهير من الذنوب والخطايا".

نعم، وهذا مما نتداوله اليوم، عندما ندخل على مريض نقول له: ((طَهُورٌ)) لكن، لا بد أن نكون صادقين فيما نقول، ومعناها: "أسأل الله أن يجعل هذا المرض تطهيرًا لك من الذنوب والخطايا"، لا بد أن يكون هذا الذي تقصدينه، وليست مجرَّد كلمة تقال بطرف اللسان، هذه مشكلة كبيرة أن كثيرًا من الأذكار نحن نقولها بطرف اللسان فتفقد معناها، ومن أشهر الأقوال عندما ندخل على النَّاس ونسلم ونقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لابد أن نستشعر في نفوسنا أننا نقول: "أسأل الله باسمه السَّلام أن يُنَزِّل عليك السَّلام والرحمة والبركات"؛ ولذلك النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-جعل السَّلام سببًا للمحبة؛ لأننا لو كنَّا نسأل الله من قلوبنا "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" لكان استجاب لنَّا الله، ونزل علينا السَّلام والرحمة والبركات، لكن أنتم ترون أن النَّاس يسلم بعضهم على بعض بصورة أقرب للجفاء منها للمحبة، وأقرب للبغض منها للمودة، وليست هناك مشاعر أنَّنا نطلب من ربنا السَّلام، غير الظاهرة الواضحة أن النَّاس يسلمون-الله يغفر لنا جميعًا-على من يعرفون، ومن لا يعرفون لا يسلمون عليهم، فتكون النتيجة أن لا تفشو المحبة بيننا، **لماذا؟** لأن المُسلِم لا يقصد بسلامِهِ سؤال الله (أن تنزل الرحمة والبركات)، فالمفترض أن تسأل الله أن يُنَزِّل الرحمة والبركات.

مثال آخر بالمناسبة: الآن مع كثْرة زيجات المسلمات والمسلمين-نسأل الله أن يكثِّر العفاف ويحمي أبنائنا وبناتنا من الزنا وأبوابه! اللهم آمين-ودُعيت إلى هذه المناسبة فذهبت لهم ماذا تقولين؟ (بارك الله لهما وبارك عليهما وجمع بينهما في خير)[٢١] الآن لو كل النَّاس التي حضرت المناسبة قالوها من قلبهم ودعوا ربنا ماذا سيكون في حياتهم؟ ستحل بينهم البركة ويُجمع بينهم في خير. وقد تكون من المدعوين المرأة الصالحة المؤمنة التقيَّة التي تدعو ويستجيب الله لدعائها فتنزل البركات على أبنائنا وبناتنا.

لكن عندما ينوي النَّاس الذهاب وهم ناسيين هذا الكلام فقط يفكرون: ماذا نكتب في البطاقة، مع الهدية؟! -يسألون: ما هو الدعاء حتى يكتبوه-بعد ذلك أراحوهم جهزوا لهم البطاقة يشترونها ويضعونها-. ففقد هذا الدعاء حقيقته من القلب! الآن هم حين دعوك للمناسبة فتأكلي من طعامهم الآن أحسنوا إليك بأن أكلتِ من طعامهم، والإحسان منك لهم هو أن تدعي لابنتهم، تدعي لولدهم، فهذه الكلمات التي نقولها في أي مناسبة ليست كلمات مجاملات، هذه لو كانت في مكانها الصحيح لبلغ النَّاس ما بلغوا من الخير والبركة.

الآن سينقل لنا ابن رجب كيف الأعرابي ما قبل دعاء النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-، فماذا كان عليه؟

قال: **"ففي (صحيح البخاري) عن ابن عباس: أَنَّ النَّبِيَّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-كَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ، قَالَ: ((لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)). فَدخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ: ((لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)). فَقَالَ**

(٢١) رواه أبو داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ كانَ إذا رفَّأَ الإنسانَ إذا تزوَّجَ، قالَ «بارَكَ اللَّهُ لَكَ، وبارَكَ عليكَ، وجمعَ بَينَكُما في خيرٍ» صحيح أبي داود.

الأعرابي: قُلْتُ طَهُورٌ؟ بَلْ حُمَّى تَفُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((فَنَعَمْ إِذًا)).

يعني أنه لم يقبل الطهارة، بل ردها، وأخبر عن حُمَّاه بما أخبره به عن نفسه، فحصل له ما اختاره لنفسه، دونه ما رده."

يعني: ما قبل من النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-أن قال له: طهور، وأنه لا بأس عليك، وأن هذا المرض ما يأتي لك بالبأس، بل هو طهور، وندعو الله أن يكون لك طهارة، ما قبل هذا.

فقال للنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-مستعجبًا: ((قُلْتَ طَهُورٌ؟))، يعني: ما أبعد هذه الكلمة عن الحقيقة، ((بَلْ حُمَّى تَفُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ))، فماذا قال النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-في حقه؟

فَقَالَ النَّبِيُّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((فَنَعَمْ إِذًا)).

نعم، هذا الذي أنت تمنيته لنفسك، فنعم إذًا نعم، يعني هذه الحُمَّى التي تفور ستزيرك القبور.

(يعني أنه لم يقبل الطهارة، بل ردها، وأخبر عن حُمَّاه بما أخبره به عن نفسه، فحصل له ما اختاره لنفسه، دونه ما رده) نعم، يعني: هو لو قبل من النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-هذا، وهو رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-، لكانت في حقه طهور، وكانت طَهَّرتُه، لكن الجزع جعل الأعرابي لا يستفيد من المرض الذي أصابه، بل كما قال إنها ((تُزِيرُهُ الْقُبُورَ)) فأزارته القبور، كما في الروايات الأخرى.

قال: **"وقد خرجه أبو نعيم في (تاريخ أصبهان) من حديث شُرَحْبِيلَ بْنِ السِّمْطِ: جَاءَ شَيْخٌ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيُّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَيْخٍ كَبِيرٍ، وَحُمَّى تَفُورُ، فِي عِظَامِ شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ. فَقَالَ النَّبِيُّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((بَلْ كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ)) فَقَالَهَا ثلاثًا، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ: ((بَلْ كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ)). فَقَالَ النَّبِيُّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-فِي الثَّالِثَةِ:((فَنَعَمْ إِذًا، إِنَّ اللَّهَ إِذَا قَضَى عَلَى عَبْدٍ قَضَاءً، لَمْ يَكُنْ لِقَضَائِهِ مَرَدٌّ))".**

يعني: هو يكرر والنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يكرر عليه، لكنه ما قبل، فكأنه أتى لنفسه بهذا البلاء.

قال: **"وفي (مسند الإمام أحمد) عن أنس: أَنَّ النَّبِيُّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ-وَهُوَ مَحْمُومٌ-فَقَالَ: ((كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ))، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: بَلْ حُمَّى تَفُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-وَتَرَكَهُ.**

وقال هشام عن الحسن: كانوا يرجون في حُمَّى ليلة، كفارة لما مضى من الذنوب".

كل هذه الروايات على نفس المعنى.

"وقال هشام عن الحسن: كانوا يرجون في حُمَّى ليلةٍ، كفارة لما مضى من الذنوب" يعني: كانوا يحتسبون على الله، أنه لو ليلة قضُوها في حمى كفرت لهم ما مضى من ذنوبهم، فهذا من الطمع في الله.

وسنرى من أين أتَوا بمعنى أن ليلة يقضونها في حمى تكفر عنهم ما مضى من ذنوبهم.

قال: **"وقال حوشب عن الحسن رفعه: ((إِنَّ اللهَ لَيُكَفِرُ عن المؤمن خطاياه بحُمَّى ليلة)). وروي عن الحسن، عن أبي هريرة مرفوعًا بإسناد ضعيف".**

هذا عن الحسن البصري يرفعه إلى النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-، لكن رفعه إلى النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لا يصح، فيقف عند من؟ عند الحسن، والحسن من التابعين، يعني: الحسن يروي عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((إِنَّ اللهَ لَيُكَفِرُ عن المؤمن خطاياه بحُمَّى ليلة))، إذا أصابته الحُمَّى ليلة يكفر الله عن خطاياه، الحديث ضعيف، أي: لا يثبت.

لكن المعنى يدور حول هذا: أن الحُمَّى إذا اشتدت على الإنسان وصبر واحتسب، لابد أن تكون كفارة لخطاياه، لكن هل هي كفارة لخطاياه كلها أم كفارة لسنة؟ أورد قول لأبو الدرداء.

قال: **"وقال عبد الملك بن عمير: قال أبو الدرداء: حمى ليلة كفارة سنة! وروى ذلك كله ابن أبي الدُّنْيَا".**

وهذا كله موقوف على الصحابة والتابعين، يعني ليس مرفوعًا إلى النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-، إنما موقوفًا على الصحابة والتابعين، يعني من الآثار: أن الإنسان إذا أصابته الحُمَّى ليلة، كان كفارة سنة وهذا من كلام أبي الدرداء-رضي الله عنه-، سنرى أبو الدرداء-رضي الله عنه-كيف قال إن (حُمَّى ليلة تكفر سنة).

قال: **"وقد قيل في مناسبة تكفير حُمَّى ليلة لذنوب سنة، أن القوى كلها تضعف بالحُمَّى، فلا تعود إِلَى ما كانت عليه إِلَى سنة تامة!"**

هذا ما قيل! فما تعليلهم أن أبو الدرداء قال (حُمَّى ليلة تُكَفِر سيئات سنة)؟ أنهم فيما يرون أن حُمَّى ليلة تضعف البدن ضعفًا لا يتجدد معه القوة إلى سنة، فتكون كفرت سنة إلى أن تكتمل قواه مرة أخرى، وسنعود ونقول هذا ليس كلام النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-وإنما كلام أبو الدرداء وهو كلام الصحابة الذين قال فيهم النبي: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي))[٢٢] وكلام الأصحاب ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))[٢٣] فكلامهم معتبر لكنه ليس حُكمًا.

قال: **"وفي مناسبة تكفيرها الذنوب كُلَّها، أن الحُمَّى يأخذ منها كل أعضاء البدن ومفاصله قِسْطَهُ من الألم والضعف، فَيُكَفِّرُ ذلك ذنوب البدن كُلِّهَا".**

الحُمَّى ليست مثل بقية الأمراض تؤلم مكان معين ولكنها تؤلم كل البدن، العين تُخطيء، الأذن تسمع ذنبًا، اليد ممكن أن تبطش، اللسان ممكن أن يتكلم، القدم ممكن أن تسير إلى محرم، كل أعضاء البدن ممكن تدخل في نوع من الذنوب، تأتي الحُمَّى وتصيب كل أعضاء البدن، فيصير كل البدن تُكَفَّر عنه سيئاته بهذه الحُمَّى التي تعم البدن.

---

(٢٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه الألباني.

(٢٣) أخرجه البخاري (٢٦٥٢).

قال: **"وإذا كانت الحُمَّى بهذه المثابة، وأنها كَفَّارة للمؤمن وطهارة له من ذنوبه، فهي حَظَّهُ من النَّار–باعتبار ما سبق ذكره– فإنه لا يحتاج إِلَى الطهارة بالنَّار يوم القيامة، إلا من لقي اللهَ وهو مُتَلَطِخٌ بخبث الذنوب".**

هذا سيعيدنا لأول موضوعنا وهو أن (المؤمن إذا أصابته الحُمَّى كانت حظهُ من النار).

سنقرأ الكلام ونؤكد أن هذا لمن خفت ذنوبه، أما من خبثت ذنوبه ودخل في الكبائر فهذا لا يدخل في الكلام، يقول: (وإذا كانت الحُمَّى بهذه المثابة، وأنها كَفَّارة للمؤمن وطهارة له من ذنوبه، فهي حَظَّهُ من النَّار؛ باعتبار ما سبق ذكره.

فإنه لا يحتاج إِلَى الطهارة بالنَّار يوم القيامة) ما الذي طهره في الدنَّيا؟ الحُمَّى، الحرارة فلا يحتاج إلى حرارة النَّار لتطهره فقد أصابته حرارة الحُمَّى فتطهر ((إلا من لقي اللهَ وهو مُتَلَطِخٌ بخُبث الذنوب)) وهذا والله أعلم يقصد به الشرك وما في منزلته من الذنوب الكبار وأيضا كبائر الذنوب التي لم يتب صاحبها عنها.

قال: **"وفي الترمذي [٢٤] عن أبي بكر الصديق: أنه كان عند النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–، فأقراه هذه الآية حين أنزلت: {مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}.**

قَالَ: وَلاَ أَعْلَمُ إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ فِي ظَهْرِي انْقِصَامًا، فَتَمَطَّأْتُ لَهَا وَقُلْتُ: يَا رَسولَ اللهِ، وَأَيُّنَا لَمْ يَعْمَلْ سُوءًا؟! أَوْ إِنَّا لَمَجْزِيُّونَ بِمَا عَمِلْنَا؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صلَّى الله عليه وسلَّم–: ((أَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ فَتُجْزَوْنَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى تَلْقَوْا اللَّهَ وَلَيْسَ لَكُمْ ذُنُوبٌ، وَأَمَّا الآخَرُونَ فَيُجْمَعُ ذَلِكَ لَهُمْ حَتَّى يُجْزَوْا بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ))".

وقد مر معنا في رسالة أخرى لابن رجب التي شُبه فيها المؤمن بخامة الزرع–وخامة الزرع هو الزرع الضعيف الصغير–فخامة الزرع تأتيها الرياح من هنا تكفؤها وتأتيها الرياح من هنَّا تكفؤها يعني تأتيها المصائب من كل مكان ومنها الأمراض فحين يلقى الله يلقاه وما عليه ذنوب، أما المنافق أو الفاجر أو الكافر شبهه النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–بشجرة الأَرْز وهي لا تنقصم أبدًا ولا تتحرك مع الريح من شدَّتها وقوتها لكن تقصم قصما مرة واحدة، وهذا يشبه له.

أبو بكر–رضي الله عنه–لما سمع قول الله تعالى: {مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} قال: وأيُّنَا يا رسول الله لا يعمل سوء؟ كلنا يخطئ، فقال له الرسول–صلَّى الله عليه وسلَّم–: ((أَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ)) –وهذا خاص لأبي بكر–والمؤمنون معطوفون عليه، ((فَتُجْزَوْنَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا)) من ماذا؟ من الأمراض؛ لأنه يقول في أول الحديث: ((وَلاَ أَعْلَمُ إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ فِي ظَهْرِي انْقِصَامًا، فَتَمَطَّأْتُ لَهَا)) أي:كأنه وجد آلام فلما قال له النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–: ((فَتُجْزَوْنَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا)) أي: تجزون بما تصابون به من أمراض وآلام وفجائع، حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب، في مقابل الآخرين الذين هم أهل الكفر والنفاق فيجمع ذلك لهم مثل شجرة الأرْز لا تُصيبها المصائب، حتى يجزوا به يوم القيامة، وبذلك نفهم أن بعض أهل الكفر والنفاق لا يصابون أبدًا في الدنيا وبعضهم يصابوا وتكون عليهم زيادة في كفرهم ونفاقهم.

---

(٢٤) برقم (٣٠٣٩) وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وفي إسناده مقال.

مثله في الحديث الثاني:

قال: "**وفي (مسند بقي بن مخلد) بإسناد جيد، عن عائشة: أن رجلًا تلا هذه الآية: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} فَقَالَ: إنا لنجزى بكل عمل عملنا؟ هلكنا إذًا! فبلغ ذلك رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-فَقَالَ: ((نعم يُجزى به المؤمن في الدُّنْيَا، في نفسه، في جسده، فما دونه))**".

كما مر معنا حتى أن الإنسان يفجع في مالِه كما ورد في الحديث ((أن العبد يضع البضاعة في جيبه فيفقدها فيفزع لذلك)) فتكون كفارة لذنبه والحديث المشهور الذي فيه ((ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها.))[٢٥] .

أسأل الله أن يكفر سيئاتنا ويغفر ذنوبنا ويرفع درجاتنا، اللهم آمين.

قال الإمام ابن رجب-رحمه الله-:

"**وأما ما روي عن مجاهد أن الحُمَّى في الدُّنْيَا، هو ورود جهنم يوم القيامة-فإن صح عنه-فله معنى صحيح، وهو أن ورود النار في الآخرة قد اختلف فيه الصحابة عَلَى قولين:**

أحدهما: (أنه المرور عَلَى الصراط)، كقول ابن مسعود.

والثاني: (أنه الدخول فيها)، كقول ابن عباس.

فمن قال: هو المرور عَلَى الصراط، فإنه يقول: إنَّ مرور المؤمنين عَلَى الصراط بحسب إيمانهم وأعمالهم-كما صحت النصوص النبوية-فمن كمل إيمانه نجى، ولم يتأذ بالنار، ولم يسمع حسيسها، ومن نقص إيمانه، فإنه قد تخدشه (الكلاليب)[٢٦] ،و (يتكردس)[٢٧] في النار بحسب ما نقص من إيمانه، ثم ينجو.

ومن قال: هو دخول النار، فإنه يقول: إنَّ المؤمنين الذين كمل إيمانهم، لا يحسون بحرها بالكلية.

وفي (المسند) عن جابر مرفوعًا: ((لا يبقى أحد إلا دخلها، فأما المؤمنون فتكون عليهم بردًا وسلامًا كما كانت عَلَى إبراهيم، حتى إنَّ للنار لضجيجًا من بردهم)).

وفي حديث آخر: ((تقول النار للمؤمن: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي)).

وقال بعض التابعين: إذا قطع المؤمنون الصراط يقول بعضهم لبعض: ألم يعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيَقُولُونَ: نعم، ولكن وردتموها وهي خامدة.

---

(٢٥) أخرجه البخاري (٥٦٤٠).

(٢٦) الكلوب بالتشديد: حديدة معوجة الرأس (النهاية) (٤/ ١٩٥).

(٢٧) المكردس: الَّذِي جمعت يداه ورجلاه وألقي في موضع (النهاية) (٤/ ١٦٢) (٣) (٣/ ٣٢٨-٣٢٩).

فعلى كلا القولين: المؤمنون الذين كمل إيمانهم لا يحسون بحر جهنم، ولا يتأذون به عند الورود عليها، فيكون ما أصابهم في الدُّنْيَا من فيح جهنم بالحُمَّى، هو حظهم من النار، فلا يحصل لهم شعور وإحساس بحر النار، سوى إحساسهم بحر الحُمَّى في الدُّنْيَا.

فهذا هو معنى ما ورد أن الحُمَّى حظ المؤمن من النار، وأنها حظهم من ورود النار يوم القيامة، والله أعلم".

هنا مسألة، وهي كما مرت معنا، أن مجاهد-رحمه الله-التابعيّ، لما أراد بيان هذا المعنى الذي في الحديث، قال: ((أن الحُمَّى في الدُّنْيَا)) التي تصيب الإنسان في الدُّنْيَا-، ((هو ورود جهنَّم يوم القيامة-فإن صح عنه-فله معنى صحيح))، سنرى ما المقصود؟ وهذا شيء في عقيدتنا، نحن نعتقد في مسألة المرور أو الورود على جهنَّم الذي ورد في سورة مريم قوله تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} (منكم) يعني: الضمير عائد على جهنَّم.

{كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا} يعني: أن هذا سيكون، سيكون. ستمرون، ستمرون.

حسنا، الآن نحن سنترك الحُمَّى وسنفكر في الورود على جهنَّم.

ما عقيدتنا فيه؟

ما معنى أن كل النَّاس سيردون جهنَّم؟

يوجد قولان عند الصحابة في مسألة ورود النَّار في الآخرة، طبعًا المقصود بورود النَّار هنا المؤمنين، أما الكافرين يدخلونها خالدين فيها.

قال: (قد اختلف فيه الصحابة على قولين).

١. القول الأول: أن ورود جهنَّم هو المرور على الصراط فقط، يعني: المارين على الصراط هم المقصودين بقوله تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا}.

٢. وهناك رأي ثانٍ: أن معنى {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} يعني: الجميع يدخلونها والمؤمنين يدخلونها ويخرجون منها وهذا كقول ابن عباس.

سنرى أولًا القول الأول: سنفهم (المرور) ما معناه؟

وبعد ذلك نفهم (الدخول) ما معناه؟

من قال إنَّ المرور على الصراط مثل ابن مسعود قال: ((مرور المؤمنين عَلَى الصراط بحسب إيمانهم)) الصراط يكون منصوب على متن جهنَّم، فحينما يمرون عليه على حسب إيمانهم يتفاوتون في سرعة المرور، إذا تفاوتوا في سرعة المرور تفاوتوا في الإحساس بنَّار جهنَّم.

يعني: الذي يمر على الصراط كالبرق-نسأل الله من فضله-هذا من المؤكد أنه لا يشعر أبدًا بحرها، لكن الذي يزحف على الصراط لابد أن يشعر بشيء من حرها، وهناك مَن هو مِن ضعف إيمانه ليس فقط يحبو على الصراط إنما يسقط في النَّار، فهذا يكون أيضًا ممن دخل جهنَّم يدخلها كان ممكن أن يردها كالبرق، وممكن أن يردها كالفرس، وممكن أن يردها كالرجل يحبو، فكلما زادت سرعته قل إحساسه بحرارة النَّار، وكلما قلت السرعة زاد الإحساس بالنَّار، إلى أن يأتي ناس مِن ضعف إيمانهم يمكن أن يقعوا والعياذ بالله في النَّار.

إذًا معنى كلامه مرة أخرى: (فمن قال: هو المرور عَلَى الصراط، فإنه يقول: إنَّ مرور المؤمنين عَلَى الصراط بحسب إيمانهم وأعمالهم. كما صحت النصوص النبوية، فمن كمل إيمانه نجي، ولم يتأذ بالنار) إلا هذا المرور، إذًا المرور هو الورود، وكلًا على حسب أعماله يكون وروده.

((ولم يسمع حسيسها)) سيسرع في المرور فلا يتأذى بالنَّار ولا يسمع حسيسها.

(ومن نقص إيمانه فإنه قد تخدشه الكلاليب) الموجودة على هذا الطريق الذي يسيره، ((ويتكردس في النار بحسب ما نقص من إيمانه)) ولأنه معه إيمان إذًا لا بد في النهاية أن ينجو.

إذًا الرأي الأول: قول ابن مسعود في معنى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} هو المرور على الصراط، وعلى حسبه يذوق من النَّار، أو لا يشعر أبدا بها.

ننتقل لقول ابن عباس:

- والرأي الثاني: في كيفية ورود الناس للنَّار! قال: (ومن قال هو دخول النَّار) يعني {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} والله-عزَّ وجلَّ-أخبر أن هذا {حَتْمًا مَّقْضِيًّا} يعني لابد أن يحصل، فرأى ابن عباس أن هذا لا بد أن يحصل. كيف سيحصل؟ قال: ((المؤمنين الذين كمل إيمانهم، لا يحسون بحرها بالكلية))، أي: سيكون لهم دخول، لكن وقت دخولهم لا يشعرون بالنَّار-وهذه بعض الروايات التي تبين المعنى وإن كانت ليست صحيحة-.

الرواية الأولى: "وفي المسند عن جابر مرفوعًا: ((لا يبقى أحد إلا دخلها)) الإشارة إلى النَّار، ((فأما المؤمنون فتكون عليهم بردًا وسلامًا كما كانت عَلَى إبراهيم))، يعني: سيدخلونها لكن بسبب إيمانهم تصبح النار بردًا وسلامًا ((حتى إنَّ للنار لضجيجًا من بردهم)).

وفي حديث آخر: ((تقول النار للمؤمن: جُز يا مؤمن)) أي سِر، اِقْطع المسافة ((فقد أطفأ نورك لهبي))" يعني نور الإيمان.

وعلى كل حال، عقيدتنا في نور المؤمن عقيدة مشهورة معروفة، وفي القرآن ما يدل على ذلك، مثلا في سورة الحديد قد أخبر-سبحانه وتعالى-أن المؤمنين يسيرون {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم}[٢٨] فهذا دليل

(٢٨) [سورة الحديد: ١٢]

على أن المؤمن له نور لا خلاف في ذلك، والمنافق ينطفئ نوره، ولكن هذا الدليل ليس في درجة من الصحة ليرفع إلى النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-، لكن هذا المعنى الذي اختاره ابن عباس: وهو أن المؤمن يدخل النَّار ولكن لا يشعر بها.

((قال بعض التابعين: إذا قطع المؤمن الصراط يقول بعضهم لبعض: ألم يَعِدُّنا ربنا أن نرد النَّار؟)) {كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا} ((فيقولون: نعم ولكن وردتموها وهي خامدة)).

إذًا هذا الرأي الثاني: أنه لا بد أن يدخل المؤمنون النار.

عقديتنا في ورود النَّار: إحدى عقيدتين:

١- إما قول ابن مسعود، وهذا هو الأقوى: وهو حصول المرور على الصراط وكلًا يأخذ نصيبه على حسب قوة إيمانه.

٢- والقول الآخر لابن عباس، وهو أنه يحصل الدخول لكن لا يشعر المؤمنون بحر النَّار.

((فعلى كلا القولين: المؤمنون الذين كمل إيمانهم لا يحسون بحر جهنم، ولا يتأذون به عند الورود عليها)).

ما علاقة هذا بالحديث؟

نحن تناقشنا في مسألة الورود لأننا نفكر في الحُمَّى، وأنها نصيب المؤمن من النَّار، والجملة القادمة هي التي تبين العلاقة:

((فيكون ما أصابهم في الدُّنْيَا من فيح جهنَّم بالحُمَّى هو حظهم من النَّار)) يعني: الحُمَّى من فيح جهنَّم وأصابتهم الحُمَّى في الدُّنْيَا فيصير هذا هو حظهم من النَّار، ويكون معنى ذلك أن يوم القيامة هؤلاء المؤمنين لا يصيبهم شيء من النَّار. ((فلا يحصل لهم شعور وإحساس بِحَرِ النَّار، سوى إحساسهم بحر الحُمَّى في الدُّنْيَا)) هذا هو الذي يدور عليه الحديث كله: فأنت إذا أصابتك الحُمَّى والحرارة الشديدة لا تنزعج لماذا؟ لأنك ترى أن هذه الحرارة هي حظك من النَّار، فإذا أخذتها، ورضيت بها؛ وقبلتها كفّرت عنك سيئاتك ومنعتك يوم القيامة من الشعور بالنَّار، حتى مع الورود تكون ممن لا يشعر بحرارة النَّار، لماذا؟ لأنك قد أخذت نصيبك من هذه الحرارة بالحُمَّى في الدنيا.

ولتتصوري هذا المعنى ننظر في مسألة أخرى لنفهم كيف أن الإنسان إذا أخذ في الدُّنْيَا نصيبه من شيء، يوم القيامة لا يأخذه، فقد ورد في الحديث أن بعدما يحصل للناس الصعق أول من يفيق الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-فيرى موسى-عليه السلام وهو باطش-بمعنى ساجد ماسك-بأحد قوائم العرش فيقول الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-: "فلا أدْرِي أكانَ فِيمَن صَعِقَ فأفَاقَ قَبْلِي، أوْ كانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ."[٢٩] يعني هل صُعق وكان سابقًا للنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-في الاستفاقة؟ أم أن صعقته في الدُّنْيَا عندما قال: {رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ}[٣٠] فهذا الموقف في الدُّنْيَا كان بدلًا من أن يصعق في الآخرة.

فتصوري بنفس المعنى أن مَن منّ الله عليه في الدُّنْيَا وأصابه الحُمَّى وكان من المؤمنين الأتقياء تكون النتيجة أن هذه الحُمَّى تمنعه من حرارة النَّار يوم القيامة، فما أصابك في الدُّنْيَا يمنعك منه في الآخرة.

---

(٢٩) أخرجه البخاري (٧٤٧٢)

(٣٠) [سورة الأعراف: ١٤٣]

((فهذا هو معنى ما ورد أن الحُمَّى حظ المؤمن من النَّار وأنها حظهم من ورود النَّار يوم القيامة والله أعلم.))

سنرى أمرًا آخر في الحُمَّى وموقف النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–ولا تنسوا أن هذه الصفحة تختصر عليكم الأمر فإذا أردتم أن تراجعوا معنى الحديث فهذه الصفحة مبينة للأمر–**وأنه إذا أصابتك الحُمَّى وكفرت عنك سيئاتك في الدنيا فهذا بدلًا من أن تشعر بحرارة النَّار**".

وطبعًا أي شيء في الدُّنْيَا (عذابات، آلام) لو قارنها الإنسان بما يكون يوم القيامة سيكون ما في الدُّنْيَا مهما كان لا شيء أمام ما سيكون يوم القيامة؛ ولذلك يرى الإنسان أنه نعمة من ربنا أن يصيبه في الدُّنْيَا بمثل هذا، من أجل أن يكون في الآخرة حماية من أي نوع من العذاب.

نسأل الله أن يحمينا من كل نوع من العذاب نحن ووالدِيِّنَا ووالديِّهِم وذُرِّيَاتِنِا والمسلمين، اللهم آمين.

قال: **"وقد كانت الحُمَّى تشتد عَلَى رسول الله–صلَّى الله عليه وسلَّم–؛ لعظم درجته عند الله، وكرامته عليه، وإرادته رفعة درجته عنده.**

فروى ابن مسعود قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ–صلَّى الله عليه وسلَّم–وَهُوَ يُحَمُّ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: مَا أَشَدَّ حُمَّاكَ؟! وَإِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا. قَالَ: ((أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ، إِمَّا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، وَلا أَمَةٍ مُؤْمِنَةٍ، يَمْرَضُ مَرَضًا إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا يُحَطُّ عَنِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا)). خرَّجه البخاري بمعناه، وهذا لفظ ابن أبي الدُّنْيَا.

وفي رواية البخاري: قلت: ذلك أن لك أجرين. قال: ((أجل))".

نرى الآن أمرًا آخرًا مهمًا في فهمنا لمسألة الحُمَّى.

فيما مضى قد تبين لنا أن الحُمَّى ماذا تصنع؟ إذا ارتفعت عليك درجة الحرارة كفَّرَت عنك سيئاتك، ويعني كثير من الأمراض مع اختلافها تكون الحُمَّى والحرارة الشديدة كعلامة للمرض. كان شديد أو ضعيف تكون الحُمَّى علامة له.

ماذا تعتقدين؟ إن الحُمَّى تكون كفَّارة لذنوبنا.

ننظر الآن للنبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–ونرى كيف أن النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–كانت تصيبه الحُمَّى. وهنا سؤال مهم جدًا: إذا كانت الحُمَّى تصيبنا نحن وتكون كفَّارة لسيئاتنا، فكيف تصيب النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–؟

الحديث الذي في البخاري سيُبَيِّن الإجابة على ذلك، يقول: ((وقد كانت الحُمَّى تشتدّ على رسول الله–صلَّى الله عليه وسلَّم–)) ليس فقط تصيبه الحُمَّى، بل كانت تشتدّ على رسول الله لِعِظَم درجته عند الله.

هل عظم الدرجة سيقابله اشتداد الحُمَّى؟ نعم، كما سيتبين لنا في أحاديث توضح لنا الأمر أكثر.

((لعظم درجته عند الله وكرامته عليه وإرادته رفعة درجته عنده)) إذًا الحُمَّى ماذا تفعل؟

تفعل أمرين:

١-تُكفِّر السيئات عن أهل السيئات.

٢-ترفع الدرجات للمؤمنين الخُلّص.

ومثاله الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-يصاب بالحُمَّى، فتكون الحُمَّى سببًا في رفعة درجاته، فتكون الحُمَّى كفَّارة لسيئات المذنبين، رفعة لدرجات المحسنين، فاذا كان نفس الإنسان أصابته الحمي زمنًا طويلًا-تعود عليه، تعود عليه-فهذه الحمى يُؤمل أن تكون بادئة بكفَّارة سيئاته، منتهية برفعة درجاته، إذا كان على الصراط المستقيم.

أما في حق النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-نحن على ثقة تامة أنها كانت في حقه رفعة لدرجاته.

هذا الحديث الذي رواه البخاري فيه أن ابن مسعود دخل على رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-((وَهُوَ يُحَمُّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-يعني: مرتفعة درجة حرارته، ((فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: مَا أَشَدَّ حُمَّاكَ))، أي أن الحُمَّى التي أصابتك حرارتها عالية، أعلي من الناس، إذا في كلام النَّاس اليوم أن أعلي درجة حرارة مثلًا ممكن تصيب النَّاس هي ٤٠ فالنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-كأنك تقولين يشتد عن ذلك بمراحل. فهذا يعني شيء عجيب. وقال ابن مسعود ((وإِنَّك لتُوعَكُ وعكًا شديدًا)) يعني: أشد من بقية النَّاس.

قال النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ)) يعني: المرض الذي تنقسم آلامه على رجلين يُجمع له، والحرارة التي تنقسم على رجلين تُجمع له-صلَّى الله عليه وسلَّم-، ثم بيّن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-الأمر عمومًا، وفي الرواية الثانية عند البخاري أيضًا سيزداد بيانًا الأمر، وهذا للمؤمنين عمومًا قال-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، وَلا أَمَةٍ مُؤْمِنَةٍ، يَمْرَضُ مَرَضًا إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا يُحَطُّ عَنِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا)) وهذه القاعدة العامة أن الأمراض تَحُطّ عن المؤمن خطاياه، عمومًا والحُمَّى كأنها إشارة للأمراض عمومًا؛ لأن غالب الأمراض الجسم يقوم بردة فعل عليها برفع درجة حرارته أيًا كان المرض، على وجه العموم ما تفعله الأمراض للناس؟ أنها تحط عنهم الخطايا، وبالنسبة للرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-جاء في رواية البخاري: ((قلت: ذلك أن لك أجرين))، قال-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((أجل)).

لِمَ عَلَيْهِ الصَلَاة والسَّلَام حرارته أعلى من النَّاس؟

لِمَ يوعك وتأتيه الحُمَّى كرجلين؟

وذلك لأنه-صلَّى الله عليه وسلَّم-يأخذ أجرين لكُلِّ شيء يحصل له عَلَيْهِ الصَلَاة والسَّلَام، هذان الأجران مقابل الجُهْد الأعلى الذي يحصل عليه-صلَّى الله عليه وسلَّم-، وهو-صلَّى الله عليه وسلَّم-مثال للصبر وللرضا عن الله، مثال للإيمان والتقوى، مثال للمؤمنين يُحتذى به في كل شيء-صلَّى الله عليه وسلَّم-، فحينما يأتي الإنسان يقول: أنا مرضت، فيقال له: إن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-المرسل من عند الله الذي له الكرامة والمكانة عند رب العالمين كان يوعك ويتألم كما يتألم

الرجلان، فأنت اعتبر برسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-واقبل ما رزقك الله واعتبره عطية من الله؛ لأن الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-لما قال هذا الكلام قال: ((إِمَّا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، وَلا أَمَةٍ مُؤْمِنَةٍ، يَمْرَضُ مَرَضًا إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا يُحَطُّ عَنِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا)) وبهذا تكون الأمراض عمومًا بُشرى للمؤمنين، وأكرر عليكم في الأوقات التي يُخوف النَّاس بعضهم بعضًا بالأمراض ويخافون الأوبئة، لابد أن يكون للمؤمن موقفًا شجاعًا يحمل عقيدته أنه **لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنَّا**، وإذا أصابنا المرض سواءً أفرادًا أو جماعات-نسأل الله أن يحمينا جميعًا ويحفظنا-يكون موقفنا منه وعقيدتنا فيه كما وصف النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-**إنما هو كفارات للمؤمن، ورفعة درجات**، والإيمان يجعل الإنسان يرى نفس الأمور التي تمرّ على غيره؛ لأن المرض يشترك فيه المؤمن والكافر، المؤمن يكون له كفَّارة ورفعة درجة وزيادة إيمان ومكانة عند رب العالمين، والكافر يزيده هلاكًا، فالحمد لله على الإيمان الذي جعلنا نرى الأشياء بخلاف غيرنا، وإلا فالدُّنْيَا لا يمكن أن تَخْلُو من مصيبة ولا من مرض ولا من حزن لكن الله-عزَّ وجلَّ-قريب مجيب رحيم يفتح أبواب الجِنَان والمغفرة ورفعة الدرجات للمؤمنين بأمور تمر على كل النَّاس، لكن المؤمن له موقف مختلف عن غيره، فالتأكيد الآن على عقيدتك، على طمأنينتك، على يقينك، على توكلك، لا تفزع وأنت مؤمن فزعًا يخرجك عن اللجوء إلى رب العالمين، بل أنت واثق إنه {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}[٣١] فعليه أن لا يحوِّل ذلك المرض إلى وسواس، قبل أن يمرض بهذا المرض يوسوس، يوسوس، حتى يُصبح منهكًا لا يستطيع أن يستقبل قدر الله تعالى، فينبغي أن لا تُوسوس، واعلم أن الأسباب الحمد الله موجودة، لكن الأسباب ما جعلها الله إلا بشرى لتطمئن قلوبكم وما الشفاء إلا من عند الله، فإذا وجد الناس لأي مرض دواء؛ فاعلم أنها بشرى، لكن الشفاء من عند الله؛ ولذلك أسبق من كل الأدوية يوجد الدَّواء العظيم، الذي وصفه الرسول الكريم، وهو هذا الكتاب الذي نزل، فسورة الفاتحة من أسمائها الشافية بمعنى أن من قرأها واعتقد فيها، واعتقد أن الله-عزَّ وجلَّ-جعل للمتيقنين بها الأجر العظيم، وجعل لها الأثر العظيم على الأبدان، كما أن لها الأثر العظيم على الأرواح؛ يُشفى بإذن الله.

فأنت لا تسقط أمام الخوف من المرض، ولا تسقط أمام وجود المرض؛ بل كن متعلقًا تمام التعلق بالله ربِ العالمين.

المؤمن لا يخيفه شيء؛ لكن إذا أتاه الخوف الطبيعي الذي يمر به الناس، فهذا لا يعاتب عليه. لكن عليه أول ما يهجم عليه الخوف أن يدفعه بالثقة بربِ العالمين، يدفعه بالتوكل على الله، يدفعه بأن يستحفظ نفسه عند الله، أن يستودع نفسه عند الله، أن يطلب من الله الحفظ والرعاية.

لا يوسوس له الشيطان، فيضعف، ويضعف إيمانه، ويكون الأمر بعيدًا عنك أصلًا؛ لكن الله يختبرك، أنك تصلك الأخبار؛ حتى يرى منك أنك تؤمن وتتيقن، ولا تضعف، وتذبل، وتخاف، وتوسوس ويذهب النَّاس يجرون، يحضرون كمامات! ولا يجتمعون مع بعضهم، وندخل في وساوس مالها نهاية. هذه تكون أسبابًا؛ لكن عندما يكون هناك شيء حقيقي، وعندما يكون هناك شيء حقيقي، نحن فقط نعتبرها أسبابًا ليست فاعلة؛ وإنما الحقيقة ما أخبر الله في كتابه على لسان إبراهيم-عليه السلام-قال: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} فنحن على ثقة ويقين.

---

(٣١) [سورة الشعراء: ٨٠]

نسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن لا يجعلنا ممن يسقط في الفتن، نعوذ بالله من ذلك.

على كل حال، هذه الأمور لا يخلو منها زمان. الأمراض باقية، والنَّاس لابد أن يمرضوا، وإذا ما مرضوا؛ ماتوا بدون مرض، يعني: ليس المرض هو الموت، وإذا ما مرضوا وطالت أعمارهم، إلى متى يعني سيبقون؟ في النهاية سيموتون، وقد يموت الصحيح والمريض يبقى.

فكل هذا يجعلنا نفكر في لقاء رب العالمين؛ يعني هذه الأمراض إنما هي مجرَّد أسباب مذكِّرة، والأمراض أبواب لكفَّارة الذنوب ولرفعه الدرجات. لكننا سائرون إلى الله. لا تظن أن المرض سيُسرِّع بك، أنت سائر، سائر، واليوم الذي ستلقى فيه ربك هو اليوم الذي لن يتغير أبدًا.

إلا أنّ الله يمُن على بعض النَّاس فيُكفِّر سيئاتهم، ويرفع درجاتهم، ويقبلهم قبل أن يلقوه.

فهذا الأمر إلى الله، ونحن في كل الأحوال، لابد أن يكون عندنا من الشجاعة الإيمانية التي تجعلنا مطمئنين لكل أقدار الله، ولا يخيفنا أحد بشيء أبدًا، إنما نحن نخاف الله، ومتوكلين على الله، ولنا في رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-عبرة.

يأتي الحديث الثاني الذي خرجه ابن ماجه:

قال: **"وخرج ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري قال: دخلت عَلَى النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-وهو (يوعك)[٣٢] فوضعت يدي عليه، فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف، فقلت: يا رسول الله، ما أشدَّها عليك؟! قال: ((إنا كذلك، يُضعَّفُ لنا البلاءُ، ويُضعَّفُ لنا الأجرُ))"**.

هذا الحديث أيضًا فيه أبو سعيد الخدري-رضي الله عنه-يدخل على النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-ويضع يده على اللحاف فيجد حرارة النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-واصلة إلى هذا اللِّحَاف-صلَّى الله عليه وسلَّم-فمن المؤكد أنه سيأتيه استغراب قال: ((فقلت يا رسول الله ما أشدَّها عليك؟)) -صلَّى الله عليه وسلَّم-وهو الذي له عظيم المنْزِلة عند ربه، وله الكرامة عند ربه، وله رفعة الدرجة عند ربه، لكن هذا باب من أبواب الرفعة.

فقال: ((إنَّا كذلك)) يقصد النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: معاشر الأنبياء، ((يُضعَّفُ لنا البلاء)) أي: يصبح أضعافًا، في مقابله ((ويُضعَّفُ لنَّا الأجر))، يضعَّف لنا البلاء، ويضعّف لنا الأجر.

"وفي (المسند) عن فاطمة بنت عتبة قَالَتْ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-نَعُودُهُ-فِي نِسَاءٍ-فَإِذَا سِقَاءٌ مُعَلَّقٌ نَحْوَهُ، يَقْطُرُ مَاؤُهُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُهُ مِنْ حَرِّ الحُمَّى، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ دَعَوْتَ اللهَ شَفَاكَ، فَقَالَ: ((إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))".

(٣٢) الوعك: الحمى. (النهاية) (٥/ ٢٠٧).

انظروا هذا الاقتراح أتى من امرأة، وهي فاطمة بنت عتبة-رضي الله عنها-، قالت: أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-نَعُودُهُ، يعني كان النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-مريضًا، فأتت نسوة يعودون النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-، فَإِذَا سِقَاءٌ مُعَلَّقٌ نَحْوَهُ، يَقْطُرُ)) يعني :كأنَّهُ قربة تصب ماءً على النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-، تُبَرِّد عليه حرَّ ما يجد، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ دَعَوْتَ اللهَ شَفَاكَ، هم متأكدون أن الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-، لو دعا الله لشفاه-وهذا يقين-فقال النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لهن: ((إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)). حسنا، هل هذا يمنع من الدعاء؟ هنا يوجد مفهوم مهم جدًا وخاصةً للأنبياء وهو: أن صبرهم على ما قدَّر الله، والرضا به أوْلى في حق الكُمَّل من دعاء إزالته.

لماذا؟ هؤلاء كُمَّل في الإيمان، يعلمون أن الله يبتليهم بالصبر، يبتليهم بالمسألة، ويرى ماذا يفعلون؟ فهم الآن يُظْهِرُون لله أحسن الأحوال، حتى تتصوروا هذه المسألة؛ أذكركم بحديث كلنا نعرفه-وهو حديث المرأة التي تصرع-هذه المرأة التي تصرع، عندما أتت للنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-، مصابة بالصرع-الله يشفي المؤمنين جميعًا-فأتت للنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-وهي تعلم أن دعوته مستجابة، فخيَّرها النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-بين حالتين:

-حالة كمال؛ وهي أنَّ يدعو الله ويشفيها-والله على كل شيء قدير-لأنه عندما يثق الإنسان أنه لو دعا ربه سيشفيه، فهذا دليل على يقينه.

-وحالة أكمل منها وهي أنَّه-صلَّى الله عليه وسلَّم-خيَّرها للحالة الأعلى؛ أنها تَصْبِر على ما أصابها ولها الجنَّة.

فهي اختارت الحالة الأعلى، واعتبرت أن هذا البلاء الذي جاءها مفْتَاحًا للجنَّة، وكأنَّها فكرت "ما عندي كثير عمل، ما عندي أموال أتقرب بها إلى الله" ولذلك فيما ذكر بعد ذلك، أن ابن عباس، قال لتابعي: **"أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِن أَهْلِ الجَنَّةِ؟"**، ثم أشار إليها، قال: **"تلك المرأة السوداء"**، فأنت ممكن أن تدعو الله في الحالة، وتكون بدعائك الله مؤمن قوي الإيمان؛ لأن المؤمن قوي الإيمان متأكِّد أنه لو دعا ربنا، ربنا لا يخذله، وفي حالة أعلى منها أن يرضى ويُسَلِم ويقبل ما حكم الله به، ويرى أن هذا الذي نزل عليه من باب الاختبار، وأنَّ الله يريد أن يرى من العبد كمال صبره، ورضاه برب العالمين.

فبهذه الصورة يكون الأكمل، أنه يترك الأمر على ما هو عليه.

حسنا، هل لو دعا يكون هذا ناقص؟ لا، هذا من كمال الإيمان أن تدعو، وأعلى منْه الرِضا. حتى لا يلتبس عليكم الأمر أبدا في المسألة، تذكروا المرأة التي تصرع، النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-كان من الممكن أن يستجيب لطلبها-ما في مانع أن يدعو الله وتشفى-وهو طلبها في الأساس من الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-أن يدعو لها دليل إيمانها أنها تعلم أن الله يشفي المرض، لكن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-خيرها للحالة الأعلى.

والابتلاء يكون بالمرض، ويكون بأنواع كثيرة تصبرين عليها، فيخرجك ربنا من الأزمة بدرجات عالية.

هذا دائمًا في حياتنا إمَا درجة الإيمان في أن نطلب من ربنا ونلح، ونلح على ربنا أن يغير أحوالنا، أو نرضى بما قسم الله لنَا.

ما هو الشيء الذي لابد أن تُلِحِي على الله أن يغير أحوالك فيه ولا ترضي بالحال؟ أي باب من أبواب الفتن، يعني: تكونِ كسلانة مثلًا عن قِيَام الليل، أو القيام لصلاة الفجر في وقتها، تكونين في فتنة معينة. مثل هذا لا يصح الرضا فيها أبدًا، بل يجب على الإنسان أن يدعو ويدعو، ويدعو، حتى يُزِيل الله-عزَّ وجلَّ-عنه مثل هذا.

أمور مشروعة ورائها خيرات تكون مثلا امرأة تأخرت في الزواج، الأولى أن تدعو، وتدعو أن يرزقها الله زوجًا صالحًا، وأولادًا صالحين، لتترك وراءها من يدعو لها، هذه الأشياء التي تطلب أكثر وأكثر فيها، هي التي تعرفين أن حصولها يزيد درجاتك، يزيد حسناتك، يبعدك عن الذنوب، فأي باب من أبواب الذنوب تدعين ربنا أن يغلقه عليكِ-وكل باب من أبواب الحسنات تسألين ربنا أن يفتحه لكِ وأن يعينك عليه.

إذًا في حال مثل هذه الحالات نحن نرضى بما قسم الله، وهذا فيه بشرى لكل صاحب عاهة، أن عاهته إذا صبر ورضي عليها تكون مُدْخِلَةً له الجنَّة، يعني: كل واحد نقص فيه شيء من بدنه مثل: فقد بصره أو سمعه، أو شيء من أعضائه، أو شيء من عقله، ورضي بما قسم الله واحتسب على الله ذلك، هذه المسالة التي هي نقص في الدُّنْيَا، هي مفتاح الجنَّة له وهذا من فضل الله-عزَّ وجلَّ-على الخلق.

فإن بعض الخلق يدخلون من باب الصلوات، ومن باب الصيام، ومن باب الصدقة، وبعض الخلق يدخلون من باب الرضا عن الله، وهؤلاء يدخلون في قول الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((فمن رضِيَ فله الرِّضا))[٣٣] يعني: فليبشر من رضي عن الله، ورضي بما قسمه الله، وصبر، وقَبِل أن هذا هو مفتاح رضا رب العالمين، يصل إلى رضا رب العالمين.

إذًا الحديث يَدُلُّنَا على هذه المسألة.

قال: "**وقد جعل النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-من لا تصيبه الحُمَّى والصداعُ من أهل النَّار، فجعل ذلك من علامات أهل النَّار، وعَكْسَهُ من علامات المؤمنين.**

ففي (المسند) والنسائي عن أبي هريرة أَنَّ النَّبِيَّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ: ((هَلْ أَخَذَتْكَ أُمُّ مِلْدَمٍ؟)) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا أُمُّ مِلْدَمٍ؟ قَالَ: ((حَرٌّ يَكُونُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَالدَّمِ)). قَالَ: مَا وَجَدْتُ هَذَا. قَالَ: ((يَا أَعْرَابِيُّ هَلْ أَخَذَكَ هَذَا الصُّدَاعُ؟)) قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الصُّدَاعُ؟ قَالَ: ((عُرُوقٌ تَضْرِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي رَأْسِهِ)). قَالَ: فَمَا وَجَدْتُ هَذَا. فَلَمَّا وَلَّى قَالَ رَسُولُ اللهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا)).

وخرج الطبراني من حديث أَنَسٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-فَقَالَ لَهُ: ((مَتَى عَهْدُكَ بِأُمِّ مِلْدَمٍ؟)) قَالَ: وَمَا أُمُّ مِلْدَمٍ؟ قَالَ: ((حَرٌّ يَكُونُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَالْعَظْمِ، يَمَصُّ الدَّمَ، وَيَأْكُلُ اللَّحْمَ)). قَالَ: مَا اشْتَكَيْتُ قَطُّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا. أَخْرِجُوهُ عَنِّي)).

---

(٣٣) السلسلة الصحيحة

على كلٍ، هذه الأحاديث كلها بالإسنادات لا ترتفع إلى الصحة، بمعنى: أنها ليست صحيحة، لكن مجمل المعنى: أن الله-عزَّ وجلَّ-يأخذ من عباده الصالحين-يصيبهم بالأمراض-وتقع عليهم مثل هذه المصائب ليكُفِّر عنهم، في مقابل أهل الكفر إنما تأتيهم مرة واحدة في النَّار عندما يموتون ويلقون ربهم.

سأذكركم مرة أخرى بما درسناه من رسائل ابن رجب سابقًا في الحديث الذي شبه النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-فيه:

-المؤمن بـ (خامَةِ الزَّرْعِ)[٣٤]، تذهب به الرياح هكذا وهكذا، وهكذا هي المصائب تأتيه من هنا ومن هنا وكلها كفَّارات تنفض عنه السيئات.

-المنافق أو الفاجر أو الكافر (بالأَرزة)، التي لا تهتز من الرياح، من هذا المعنى جاء هذا الحديث.

فهذا الحديث وإن لم يصح إلا أن معناه العام صحيحًا، فهم يكونون صحيحي البدن، ومنظرهم بهي، وصحتهم كاملة، ولا تصيبهم الأمراض، ثم يأتون يوم القيامة بكامل ذنوبهم، كذلك تذكروا أوائل سورة المنافقون {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ}[٣٥] فهم غاية في الاهتمام بأبدانهم وصحتهم ولا مشاكل لديهم في صحتهم ولا تأتيهم الأمراض، وأنت يا مؤمن مرة بعد مرة تأتيك الأمراض، فهم يرون أن صحتهم هذه كمال، وأنك كأنك تعاقب والحقيقة خلاف ذلك: فالمؤمن تأتيه مثل هذه الأمور في الدُّنْيَا، كأنها تطرح عنه الذنوب، والمنافق والفاجر يحصل له مثل ذلك.

قال: "**وفي المسند عَنْ أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-، فَقَالَ: ((مَتَى عَهْدُكَ بِأُمِّ مِلْدَمٍ؟)) وَهُوَ حَرٌّ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ. وَقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ لَوَجَعٌ مَا أَصَابَنِي قَطُّ. قَالَ رَسُولُ اللهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ الْخَامَةِ تَحْمَرُّ مَرَّةً، وَتَصْفَرُّ أُخْرَى))**.

وقد اختار النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-الحُمَّى لأمته عمومًا، ولأهل مدينته خصوصًا، وللأنصار من أهل قباء خصوصًا.

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-، فَقَالَ: ((مَتَى عَهْدُكَ بِأُمِّ مِلْدَمٍ؟)) وَهُوَ حَرٌّ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ. وَقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ لَوَجَعٌ مَا أَصَابَنِي قَطُّ)) يعني: ما أصابته حرارة أبدا في حياته، لا صغيرا ولا كبيرا.

قَالَ رَسُولُ اللهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ الْخَامَةِ تَحْمَرُّ مَرَّةً، وَتَصْفَرُّ أُخْرَى))." هذا سيردنا لحديث تشبيه المؤمن (بخامة الزرع) التي تحْمر مرة وتصْفر مرة، يعني: بسبب ما يصيبها من آلام.

قال: "**وقد اختار النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-الحمَّى لأمته عمومًا ولأهل مدينته خصوصًا وللأنصار من أهل قباء خصوصًا.**

---

(٣٤) رواه البخاري ولفظه، قال النبي ﷺ «مَثَلُ المُؤْمِنِ كَمَثَلِ خامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ ورَقُهُ مِن حَيْثُ أَتَتْها الرِّيحُ تُكَفِّئُها، فإذا سَكَنَتِ اعْتَدَلَتْ، وكَذلكَ المُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بالبَلاءِ، ومَثَلُ الكافِرِ كَمَثَلِ الأرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حتَّى يَقْصِمَها اللَّهُ إذا شاءَ».

(٣٥) [سورة المنافقون: ٤]

فأما الأول: ففي (المسند) عن أبي قلابة قال: نبئت أن النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ يُصَلِّي قَالَ فِي دُعَائِهِ: ((فَحُمَّى إِذًا أَوْ طَاعُونًا))، قَالهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا أَصْبَحَ سَأَلَهُ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِهِ عَنْ ذَلِكَ: فَقَالَ: (إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِسَنَةٍ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُلْبِسَهُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَأَبَى عَلَيَّ–أَوْ قَالَ: فَمنعت–فَقُلْتُ حُمَّى إِذًا أَوْ طَاعُونًا، حُمَّى إِذًا أَوْ طَاعُونًا..) يَعْنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

وأما الثاني: في المسند أيضًا عن أبي عسيب–مولى النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–عن النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–قال: ((أَتَانِي جِبْرِيلُ بِالحُمَّى وَالطَّاعُونِ، فَأَمْسَكْتُ الحُمَّى بِالْمَدِينَةِ، وَأَرْسَلْتُ الطَّاعُونَ إِلَى الشَّامِ، فَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي، وَرَحْمَةٌ لَهُمْ، وَرِجْزٌ عَلَى الْكَافِرِينَ)).

ولا ينافي هذا ما في (الصحيح) [٣٦] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ–صلَّى الله عليه وسلَّم–الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِه ... وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ[٣٧] يَقُولُ:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

اللَّهُمَّ العَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الوَبَاءِ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صلَّى الله عليه وسلَّم–: ((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ، كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ)).

قَالَتْ: وَقَدِمْنَا المَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللَّهِ. قَالَتْ: فَكَانَ بُطْحَانُ يَجْرِي نَجْلًا–تَعْنِي مَاءً آجِنًا[٣٨].

فإن المراد بالحُمَّى في هذا الحديث الوباء، وهو وخم الأرض وفسادها وفساد مائها وهوائها، المقتضي للمرض، وقد نقل ذلك من المدينة إلَى الجحفة، كما في (صحيح البخاري) عن ابن عمر، عن النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–قال:

---

(٣٦) أخرجه البخاري (١٨٨٩)، ومسلم (١٣٧٦).

(٣٧) أي صوته. قيل: أصله أن رجلًا قطعت رجله، فكان يرفع المقطوعة عَلَى الصحيحة ويصيح من شدة وجعها بأعلى صوته، فقيل لكل رافع صوته: رفع عقيرته. "النهاية". (٣/ ٢٧٥).

(٣٨) الماء الآجن: أي الماء المتغير الطعم واللون. (النهاية)(١/ ٢٦).

((رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَةٍ–وَهِيَ الْجُحْفَةُ–فَأَوَّلْتُهَا وَبَاءَ الْمَدِينَةِ يُنْقَلُ إِلَى الْجُحْفَةِ)).

وأما الحُمَّى المعتادة فهي التي أمسكها النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–بالمدينة، وهي التي تكون بالأرض الطيبة، والبلاد الهنيئة الصحيحة هواؤها وماؤها.

وأما الثالث:–وهو تخصيص الأنصار بها–ففي (المسند) أيضًا، وصحيح ابن حبان عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: ((اسْتَأْذَنَتِ الْحُمَّى عَلَى النَّبِيِّ–صلَّى الله عليه وسلَّم–، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أُمُّ مِلْدَمٍ، قَالَ: فَأَمَرَ بِهَا إِلَى أَهْلِ قُبَاءَ، فَلَقُوا مِنْهَا مَا يَعْلَمُ اللَّهُ، فَأَتَوْهُ فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا شِئْتُمْ: إِنْ شِئْتُمْ أَنْ أَدْعُوَ اللَّهَ لَكُمْ يَكْشِفَهَا عَنْكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَكُونَ لَكُمْ طَهُورًا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَتَفْعَلُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَدَعْهَا)).

وخرج الخلال في كتاب (العلل) من حديث سَلْمَان الفارسي قَالَ: اسْتَأْذَنَتِ الْحُمَّى عَلَى النَّبِيِّ–صلَّى الله عليه وسلَّم–فَقَالَ: ((مَنْ أَنْتِ؟)) قَالَتْ: أَنَا الْحُمَّى أَبْرِي اللَّحْمَ، وأَمُصُّ الدَّمَ. قَالَ: ((اذْهَبِي إِلَى أَهْلِ قُبَاءَ)). فَأَتَتْهُمْ. فَجَاؤوا إِلَى رَسُولِ اللهِ–صلَّى الله عليه وسلَّم–، وَقَدِ اصْفَرَّتْ وُجُوهُهُمْ، فَشَكَوُا الْحُمَّى إِلَى رَسُولِ اللهِ–صلَّى الله عليه وسلَّم–، فَقَالَ: ((مَا شِئْتُمْ، إِنْ شِئْتُمْ دَعَوْتُ اللهَ فَكَشَفَهَا عَنْكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُمُوهَا، فَاسْتَنْظَفَتْ بَقِيَّةَ ذُنُوبِكُمْ))، قَالُوا: بَلْ دَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ.

وقد كان كثير من السلف الصالح يختار الحُمَّى لنفسه–كما سبق عن أبي بن كعب أنه دعا لنفسه بالحُمَّى.

وروي من وجه آخر من حديث أبي سعيد البخاري قال: قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللهِ–صلَّى الله عليه وسلَّم–: أَرَأَيْتَ هَذِهِ الْأَمْرَاضَ الَّتِي تُصِيبُنَا، مَا لَنَا بِهَا؟ قَالَ: ((كَفَّارَاتٌ)). قَالَ: أُبَيٌّ: وَإِنْ قَلَّتْ؟ قَالَ: ((وَإِنْ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا)). قَالَ: فَدَعَا اللهُ أُبَيٌّ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يُفَارِقَهُ الْوَعْكُ حَتَّى يَمُوتَ! فِي أَنْ لاَ يَشْغَلَهُ عَنْ حَجٍّ، وَلَا عُمْرَةٍ، وَلَا جِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فِي جَمَاعَةٍ. فَمَا مَسَّهُ إِنْسَانٌ إِلَّا وَجَدَ حَرَّهُ حَتَّى مَاتَ.

خرَّجه الإمام أحمد، وابن حبان في (صحيحه)، والحاكم وقال: عَلَى شرطهما. وخرَّج النسائي أول الحديث فقط. وقد سبق عن سعد بن معاذ نحو ذلك.

وروى ابن أبي الدُّنْيَا بإسناده عن عطاء، عن أبي هريرة قال: ما من مرض أَحَبّ إليَّ من هذه الحُمَّى، إِنَّمَا تدخل في كل مفصل، وإن الله–عزَّ وجلَّ–يعطي كل مفصل قسطه من الأجر.

ووضع بعض ولد الإمام أحمد يده عليه، فَقَالَ له: (كأنك محموم؟ فَقَالَ أحمد: وأنّى لي بالحُمَّى؟)

ومع هذا كله فالمشروع سؤال الله العافية، لا سؤال البلاء.

وقد كان النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–يأمر بسؤال العافية، ويحثّ عليه، وقال لمن سأل البلاء وتعجيل العقوبة له في الدُّنْيَا: ((إِنَّكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ، أَلاَ قُلْتَ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)).

وسمع رجلًا يسأل الله الصبر، فَقَالَ: ((سألت الله البلاء، فسل العافية))[٣٩].

وفي دعائه بالطائف–وقد بلغ منه الجهد مما أصابه من أذي المشركين–: ((إِنْ لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي)).

وقال: ((لا تتمنوا لقاء العدو، ولكن سلوا الله العافية، فَإِذَا لقيتموهم فاصبروا))[٤٠].

وكان بعض السلف يقول في دعائه في المرض: اللهم أنقص من الوجع، ولا تنقص من الأجر.

(وروى ابن أبي الدُّنْيَا في كتاب المرضى) بسنده إلى أبي هريرة رفعه قال: ((من وعك ليلة فصبر ورضي بها عن الله عز وجل، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)).

ومع هذا كله فما هو المشروع؟ (سؤال الله العافية لا سؤال البلاء)، يعني: على قدر ما مُدِح المرض وكان كفَّاره، لكن الأصل في عقيدتنا أن نسأل الله العافية ولا نسأله البلاء. وهذا بدليل أن النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–دخل على رجل فوجده في حالةٍ شديدة وكأنه عصفور قد ذهب عنه ريشه، فسأله النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–ما كنت قلت لربنا؟ يعني: ماذا دعوت؟ فكان دعا أن أي ذنب من ذنوبي أن يُكَفَّره عنه في الدُّنْيَا وأن يلقاه في الدُّنْيَا وما يجده في الآخرة، فوقع عليه هذا المرض الشديد، فعاتبه النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–وقال له: ((إِنَّكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ، أَلاَ قُلْتَ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)).

إذا هذا هو المطلوب أن نسأل الله العافية–هذا الأصل–، وماذا عن الآثار السابقة؟ سنعود لنفس القاعدة، عندما يقوى إيمان العبد، وتنزل عليه المصائب يكون إيمانه دافعًا له لئلا يجزع، لكن عندما يكون الإنسان ضعيف الإيمان، ويتصور في نفسه قوة الإيمان، وينزل عليه البلاء، ماذا يحصل منه؟ يجزع ويدخل في غضب الله.

ولذلك من العبادات العظيمة التي يجب علينا أن نكررها، هي الاستغفار، والتوبة الدائمة؛ ولذا في نداء الله للخلق في آخر الليل كل ليلة: **((هَل مِن مُستغفِرٍ فأغفرَ لهُ؟))** فهذا دعاء عظيم، والوقت الأخير في الليل **{وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}**[٤١] أيضًا هذا دليل على عظمة الاستغفار.

إذا اجتمع هذا الاستغفار والتوبة مع الحُمَّى، كُفِّرت السيِّئات، وحُرِّم الإنسان على النار؛ ولذا لا تسبوا الحُمَّى بل اعتبروها نعمة من عند الله، واعتبروا أن الإصابة بها إنما من باب التنظيف.

---

(٣٩) أخرجه الترمذي (٣٥٢٧) وقال: هذا حديث حسن.

(٤٠) أخرجه البخاري (٣٠٢٦) معلقًا، ومسلم (١٧٤١).

(٤١) [سورة الذاريات:١٨]

الآن سنختم بآخر كلام قاله الإمام ابن رجب–رحمه الله–:

"ومن هنا كُره تمني الموت، فإنه استعجال للبلاء قبل وقوعه، كما قال ابن عمر لمن سمعه يتمنى الموت: لا تتمنّ الموت فإنك ميت، ولكن سل الله العافية".

حسنًا الآن: من تَمَنِّي المرض إلى تَمَنِّي الموت، وأن الأصل أن الإنسان يسأل الله العافية.

انتقلنا إلى مسألة تمني الموت هل يتمنى الإنسان الموت؟ الجواب: هو استعجال للبلاء قبل وقوعه، ((فلما سمع ابن عمر قائلًا يتمنى الموت قال: لا تتمنى الموت فإنك ميت ولكن سل الله العافية))، يعني: نسأل الله العافية؛ لأن الموت واقع لا محالة، لكن نسأل الله العافية ، نسأل الله أن يرزقنا حسن الختام، أن يرزقنا عمل نافع يختم لنا به، نسأل الله–عزَّ وجلَّ–حسن الخواتيم، وأن يعْسِلَنَا قبل موتنا فإن النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–قد أخبرنا أن الله–عزَّ وجلَّ–: **((إذا أحبَّ اللهُ عَبدًا عسَّلَه))**[٤٢] والمعنى: أنه وفقه في آخر حياته لعمل صالح ختم له به فنسأل الله–عزَّ وجلَّ–أن يَعْسِلْنا وأن يحسن لنا الخواتيم، وأن يشرح صدورنا، وأن يزيدنا إيمان، اللهم آمين.

سنرى لِمَ لا تتمنوا الموت؟

قال: **"وفي (المسند) عن جابر عن النبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–قال: ((لا تَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ، فَإِنَّ هَوْلَ الْمَطْلَعِ شَدِيدٌ، وَإِنَّ مِنَ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُطَولَ عُمْرَهُ، وَيَرْزُقَهُ اللهُ الْإِنَابَةَ))".**

هذا الحديث الذي في المسند يدل على أن الإنسان لا يستعجل الموت ولا يخاف الموت، لا تستعجله (لا تتمناه) لأنه ((هَوْلَ الْمَطْلَعِ شَدِيدٌ)).

يعني: ما ستلقاه بعد الموت أمرٌ شديد، ولا تخاف الموت؛ لأن الموت لابد منه وإذا كان الإنسان مؤمن تلقته ملائكة الرحمة والنبي–صلَّى الله عليه وسلَّم–يقول: ((وَإِنَّ مِنَ سَعَادَةِ الْمَرْءِ)) ماذا يحصل له؟ يحصل له أمرين:

–يطول عمره.

–ويرزقه الله الإنابة.

لأن الإنسان حين يكون شابًا صغيرًا، يكون متعلقًا بالدُّنْيَا مقبلًا عليها راغبًا فيها، يكون قليل الإنابة، قليل التذكر للآخرة، لكن عندما يطول عمره ويأكل مما أكل الناس ويشرب مما شرب الناس ويعايش الناس إلى أن يحصل في نفسه الشبع من هذا كله، ويبدأ يعرف أن سعادته ليست في أكلة يأكلها ولا في نومة ينامها ولا في اختلاط يختلطه، ويبدأ يشعر أن الدُّنْيَا لا تجلب له سعادة، وإنما ذكر الله وما والاه هو الذي يجلب له السعادة، وكلَّما زادت خبرته في الحياة، كلَّما اتضحت له هذه

(٤٢) صححه الألباني–في صحيح الترغيب.

المسألة، فتكون منه الإنابة؛ فلذلك طول العمر إن كان الإنسان على الصراط المستقيم، يجب أن يأتي بسرعة الإنابة، لا بد كلَّما طال عمر الإنسان كلَّما عاد لربه، كلما زاد استغفاره وتوبته؛ فلذا من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة، لا أن يطول عمره في الباطل، وفي الفسق! إنما يطول عمره ويرزقه الله الإنابة وعلى كل حال لا نطلب الموت، ولا نخاف منه وإذا أتى الموت-والموت لا بد أن يأتي-يجب أن يكون الإنسان شجاعًا مؤمنًا تقيًا ويتمنى على الله أن تتلقاه ملائكة الرحمة فتكون ساعة الموت من أخير ساعاته، يكون يوم لقاء الله-عزَّ وجلَّ-من أحسن أيامه.

نسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يجعل أحسن أيامنا يوم أن نلقاه، اللهم آمين.

قال: **"والحُمَّى هي بريد الموت، ورائده، فتمنيها كتمني الموت، فيجوز حيث يجور تمني الموت. وكان أبو الدرداء يقول: أَحَبّ الموت اشتياقًا إِلَى ربي، وأحب المرض تكفيرًا لذنبي، وأحب الفقر تواضعًا لربي"**.

الآن كل مرة نسمع هذا الكلام سنؤِّله بقوة الإيمان، يعني: هذا أبو الدرداء-رضي الله عنه-يحب هذه الأمور لقوة إيمانه، يحب الموت لأنه في حالة شوق لله، يحب المرض لأنه يُكَّفِر الذنوب، يحب الفقر لأنه يسبب التواضع وعدم الانشغال بالمال، هذا مع قوة الإيمان يكون أمر عظيم، لكن مع ضعف الإيمان يمكن أن تنقلب النفس على الإنسان، فإن جاءه مرض لا يتصرف بالطريقة الصحيحة، وإذا شعر بالموت تجده ممكن أن يكون في حالة من عدم الرضا، وإذا فقد كان في حال عدم الرضا، هذا مع نقص الإيمان، فالإنسان لا يستطيع أن يختبر إيمانه، إلا من وفقه الله، فالأصل السلامة كما اتفقنا.

فإذا سمعت مثل هذه الأخبار عن الصحابة الكرام كيف يتم تأويلها وفهمها؟ نقول: هذا من قوة إيمانهم.

قال: **"وفي حديث عبد الرحمن بن المرقع عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-قال: ((إِنَّمَا الحُمَّى رائد الموت، وسجن الله في الأرض))"**.

يعني: كأنه هذا من وصف الحُمَّى أنها **(رائد الموت)** يعني: الحُمَّى الشديدة تأتي كأنها تسبق الموت، دالة على أن الإنسان سيموت، ويقصد بذلك الحُمَّى الشديدة التي تفقد الإنسان قواه.

"وقال حسان بن عطية: ذكرت الحُمَّى عن رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-فَقَالَ: ((تلك أم الدم، تلدم اللحم والدم)).

في وصف الحُمَّى.

وروي عن الحسن عن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-مرسلًا قال: ((الحُمَّى رَائِدُ الْمَوْتِ، وَهِيَ سِجْنُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، يَحْبِسُ عَبْدَهُ إِذَا شَاءَ، ثُمَّ يُرْسِلُهُ إِذَا شَاءَ))".

والمعنى: أنها تحبس العبد أي الحُمَّى تُفقد العبد قواه فتحبسه في الأرض، وهذا الحبس يمكن أن يكون لخير عظيم-وفعل الله كله حكمة-وإذا حُبس يُحبس عن الآثام، وتُكتب له الأجور، وترتفع الدرجات، وإذا ابتلي بها الإنسان رضي، وعلم أنها كَفَّارات لذنوبه، كما مرّ معنا من قبل.

قال:"**وقال ابن شبرمة عن الحسن قال رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((الحُمَّى رَائِدُ الْمَوْتِ، وَهِيَ سِجْنُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ لِلْمُؤْمِنِينَ))**.

وقال سعيد بن جبير: الحُمَّى بريد الموت".

(بريد): أي السابق له، كأنها تقول بعدها الموت.

وصلى الله عَلَى سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إِلَى يوم الدين، ورضي عن أصحاب رسول الله أجمعين."

والحمد لله رب العالمين، وبذلك حققنا مقصدنا، وعرفنا أن موقفنا من الحُمَّى إذا أُصيب بها الإنسان، إذا ابتلي بها اعتبرها كَفَّارات له، وحابسة عن الشر، ومكتوب له الأجر، وإذا لم يُبتلَ بها فلا يتمنَّها.